مجلة الصحافة

العدد (12) | السنة الرابعة | شتاء 2019

الصحافة المتأنية..
البحث عن موطئ قدم

معهد
الجزيرة للإعلام

محتويات العدد

44 ملف خاص بقضية جمال خاشقجي

4 البحث عن العمق.. تجارب في الصحافة المتأنية
هيئة التحرير

10 كيف تحارب الصحافة المتأنية الوجبات السريعة
محمد خمايسة

16 إعلام ما بعد الربيع.. ما يُمكن أن تقترحه الهوامش المأزومة
معاد بادري

22 بين الآنية والمتأنية.. هل تنجح الصحافة الرقمية؟
محمد الشاذلي

26 الأرنب داخل القبعة
غدير أبو سنينة

32 الصحافة المتأنية في عصر شبكات التواصل: ما إمكانيات نجاحها؟
لحسن سكور وأمنية الرايس

38 كيف نستفيد من تطور التواصل الاجتماعي في قصتنا المتأنية؟
محي الدين حسين

44 المصدر المجهول في قصة جمال خاشقجي: تجاوز أخلاقي أُم لعبة سياسية؟
قراءة: سمية اليعقوبي

48 اغتيال خاشقجي هل يكون بداية لتحالف اعلامي عالمي
حسني محمد

54 الصورة في قضية خاشقجي.. العلامة الفارقة
سمية اليعقوبي

58 ما بين الرأي والدعاية ... أين الصحافة؟
عمر أبو عرقوب

64 تحديات الرقمنة في اللغة العربية
محمد ولد إمام

70 الصحافة اللبنانية.. لا ضوء آخر النفق؟
بتول خليل

74 «المواطن كين».. تاريخ الصحافة على الشاشة الكبيرة
شفيق طبارة

78 الحكمة تصل متأخرة لتغطية النزاع الكولومبي
فيكتور دي كوريا لوغو

ملف العدد: الصحافة المتأنية: أن تصبر على المعلومة حتى تنضج
رسم: باول كوتشينسكي

كتّاب المجلة

محمد خمايسة

صحفي وباحث في قضايا الإعلام والدراسات الثقافية.

معاد بادري

صحفي ومترجم مغربي مُقيم في إسطنبول. يعمل منتجاً رقميّاً في قناة «TRT عربي»، ومُحرّراً في المنصّة الرقميّة الفلسطينية «متراس».

محمد الشاذلي

مشرف تحريري في منصة الجزيرة بلس - عربي.

غدير أبو سنينة

صحفية ومترجمة، كاتبة مهتمة بشؤون أميركا اللاتينية.

لحسن سكور

صحفي مغربي وطالب دراسات عليا في برنامج الصحافة بمعهد الدوحة للدراسات العليا،عمل محررا في وسائل إعلامية رقمية بالمغرب.

أمنية الرايس

طالبة في برنامج الصحافة بمعهد الدوحة للدراسات العليا، حاصلة على البكالوريوس في الدراسات الإنجليزية وتدربت في عدة مؤسسات إعلامية.

محيي الدين حسين

صحفي يعمل في مؤسسة دويتشه فيله (DW) الألمانية، بالإضافة إلى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون في غربي ألمانيا (WDR).

سمية اليعقوبي

صحفية وباحثة في دراسات الصحافة، وواحدة من مؤسسي الصحافة الإلكترونية في سلطنة عمان.

حسني محمد

أكاديمي وباحث مصري متخصص في قضايا الصحافة والنشر الإلكتروني.

عمر أبو عرقوب

إعلامي وباحث فلسطيني مرشح لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإعلامية وهندسة والجمهور.

محمد ولد إمام

صحفي ومترجم معتمد وشاعر موريتاني، خريج جامعة عين شمس. عمل بالتلفزة الموريتانية وفي السفارة الأميركية بنواكشوط، صدر له ديوانان من الشعر.

بتول خليل

صحافية لبنانية، حاصلة على شهادة إجازة في الصحافة المكتوبة وماجستير في الإعلام والتواصل من كلية الإعلام في الجامعة اللبنانية.

شفيق طبارة

محب للسينما. درس السينما وتاريخها ولا يزال. يهتم بإعداد النقد الأكاديمي والصحفي، ويكتب في عدة صحف ومواقع إلكترونية.

فيكتور لوغو كوريا

صحفي كولومبي، مؤلف كتاب «تاريخ الحرب لأوقات السلام».

أي قيمة للصحافة المتأنية؟

ليس في الأمر ثمة اختراع للعجلة. فهذا النمط موجود على نحو ما في الصحافة، ولكن صرعة الأخبار السريعة وربما المسطحة في عصر شبكات التواصل الاجتماعي جعلت الحاجة ملحة للتوقف وتأمل المشهد: أي محتوى نقدمه للمستهلك اليوم؟ وما هي قيمته المعرفية؟

يظل الصحفي اليوم ليس تحت وطأة الأخبار السريعة فحسب وإنما أيضا تحت وطأة رغبات الجمهور ومجاراة الصرعات الجديدة التي تجعل عمله الصحفي ليس مرغوبا على نحو يمكنه من مواصلة مهنته وتحقيق دخل مادي معقول. في مجلة «الإرضاء المتأخر» التي تعرف نفسها بأنها «صحافة متأنية» يقوم الصحفيون بإنجاز تقارير معمقة لقاء أجر يدفعه المشتركون أو قل القراء. وهي وسيلة يصارع فيها المؤسسون من أجل البقاء. يجد القارئ مواضيع لها قيمتها الصحفية، ويجد الصحفي دخلا ماديا يمكنه من خدمة هذا القارئ. وهي بين هذا وذاك، متحررة في سياستها من سطوة رأس المال، وتلبي رغبة الجمهور من كل الأطياف السياسية. في عالمنا العربي حاولنا مناقشة المصطلح وما ينطوي عليه: هل هي القوالب الصحفية الطويلة؟ هل هي التقارير التي تستغرق وقتا من الزمن؟ ماذا عن الأنماط الصحفية الأخرى؟ لم نتوقف طويلا عند جدلية المصطلح بقدر ما حاولنا أن نفهم قيمة «الصحافة المتأنية» اليوم، والمساهمة في تأسيس تيار صحفي جديد لا يعنى فقط بهذا النمط وإنما يأخذ على عاتقه تحسين ذائقة الجمهور. ليس من باب الوصاية وإنما التزاما بخدمته وحقه بالمعرفة التي لا تقتصر على الوجبات الصحفية السريعة.

مجلة الصحافة

مجلة الصحافة

العدد (12) I السنة الرابعة I شتاء 2019
مجلة فصلية تصدر عن
معهد الجزيرة للإعلام
شبكة الجزيرة الإعلامية

المشرف العام
منير الدائمي

رئيس التحرير
منتصر مرعي

هيئة التحرير
ملاك خليل
محمد خمايسة
علياء كنعان
غدير أبو سنينة

مراجعة لغوية
الفضيل بن السعيد

تصميم
إدارة الإبداع في شبكة الجزيرة الإعلامية

مجلة الصحافة
Aljazeera Journalism Review

موقع الإنترنت:
/http://institute.aljazeera.net/ar/ajr

تويتر:
@AJR_Arabic

فيسبوك:
www.facebook.com/
aljazeerajournalismreview

بريد المجلة الإلكتروني:
ajreditor@aljazeera.net

البحث عن العمق.. تجارب في الصحافة المتأنية

هيئة التحرير

اتجه بعض الصحفيين نحو البحث عن صحافة أكثر عمقاً سعياً لتسليط الضوء على حيثيات الخبر وأسبابه وتبعاته، معتبرين أن هذا ما يعطي للخبر قيمته الحقيقية، ويقدم خدمة فعلية للجمهور أمام التدفق الكبير للمعلومات السطحية والسريعة.

"الإنسان الاستهلاكي الحديث يفضل ما هو سهل وبسيط على ما هو جميل ومركب". ربما نجد في مقولة المفكر عبد الوهاب المسيري ما يفسر كثرة الاهتمام بالأخبار العاجلة وسرعة تداولها بين المواقع وصفحات التواصل الاجتماعي للدرجة التي تُفقد الحدث قيمته، نظراً لخلوها من تقديم المعلومة الجديدة حول الخبر الذي أصبح مستهلكاً، وأصبح الجمهور في "عصر السرعة" أكثر قبولاً لخبر خفيف مغلّف بغلاف مُبهر اسمه "العاجل". لعل هذا ما دعا بعض الصحفيين إلى البحث عن صحافة أكثر عمقاً سعياً لتسليط الضوء على حيثيات الخبر وأسبابه وتبعاته، معتبرين أن هذا ما يعطي الخبر قيمته الحقيقية، ويقدم خدمة فعلية للجمهور تمكّنهم من المشاركة في الحياة الاجتماعية بشكل فاعل أكثر. وقد اصطلح هؤلاء الصحفيون على تسمية هذا النوع باسم "الصحافة المتأنية". وكان أول ظهور لهذا المصطلح عام 2007 في مجلة "بروسبيكت" البريطانية.

ترتبط الصحافة المتأنية ارتباطاً وثيقاً بالإنسان، فهو محور البحث والاهتمام في ما وراء الحدث الأولي. فخلف كل خبر هناك قصة بل قصص تغفلها نشرات الأخبار والتغطيات الفورية، لذا فقدت كثير من النشرات إنسانيتها وجنحت للتركيز على الجانب السياسي للخبر ومآلاته، من أجل الفوز بالأسبقية في نقل ذلك الخبر، مغفلين أن قبل كل حدث وبعد كل مشهد سياسي ثمة قصة إنسان.

مشاريع متأنيّة

أليجرا ألاي (1) صحفية ومصورة لدى موقع مابتيا (2) (Maptia) لسرد القصص الإنسانية حول العالم، لم تسعَ لنقل أخبار ما خلّفه الاحتباس الحراري من آثار مدمرة نتيجة ذوبان الكتل الجليدية في القطب الشمالي كخبر عابر اعتاد الناس عليه في النشرات المقروءة والمسموعة والمرئية،

يستند أحد أشكال الصحافة المتأنية إلى المعايشة المباشرة مع الشخوص والانخراط في أسلوب حياتهم اليومي لنقل الصورة كاملة. الصورة لنساء من شعب النينتس (الساموديون) الذين يعيشون في مناطق متجمدة أقصى شمال روسيا. تصوير: سيفا كاراكان - غيتي.

بل ذهبت إلى حياة الإنسان في تلك البقعة من الأرض وما يواجهه كل يوم جراء ما يسببه الاحتباس الحراري من تأثير على حياة الناس بشكل مباشر، فبنت تقريرها على واحدة من قصص قبائل النينيتس الرحل (Nenets) التي تعيش في سيبيريا، ورصدت معاناتهم جرّاء التغيرات المناخية في واحدة من أكثر مناطق العالم صعوبة للعيش.

لم تعتمد أليجرا في قصتها "نساء في آخر الأرض" على ما يقوم به الصحفيون من توجيه عدد محدود من الأسئلة ونقل إجاباتها عبر مقابلة صحفية أو تقرير قصير، لا يحتاج في العادة إلا لساعات قليلة فتنتهي المقابلات وينتهي التقرير، بل اعتمدت على المعايشة المباشرة لتلك القبيلة بالسكن مع عائلة "كودي" في كوخهم القطبي لأشهر متتالية، حتى ترصد بنفسها عملية الهجرة الموسمية التي يلجؤون إليها حماية لأنفسهم وحفاظا على قطيع غزلان الرنة الذي يعتاشون عليه، وما يعتري هذه الفترة من تفاصيل.

لم تعلم الصحفية أن مجرى الأحداث سيأخذها إلى أحداث أخرى ربما أكثر عمقاً، فهي أرادت رصد خط سير موسم الهجرة وما يتبعه من صعوبات وتفاصيل اليوم والليلة، فتحدثت عن مهام العائلة وكيف تتوزع منذ ساعات الصباح الأولى استجابة لغريزة البقاء. فهذا ربّ البيت "ليونيا" يخرج باكراً لإعداد المزاليج ويعتني بالكلاب التي تعينه في رعاية القطيع، وتساعده زوجته "لينا" الحامل في شهرها التاسع، إذ تخرج لجمع الحطب وتكسيره كي تحافظ على الكوخ دافئاً لعائلتها، إلى جانب إعداد الطعام والعناية بالأطفال.

وأثناء معايشتها لتفاصيل حياتهم، وجدت الصحفية نفسها أمام تحدٍ جديد لم يكن في حسبانها، وهو أن موعد ولادة "لينا" قد حان، ولن تكون رحلة الهجرة في موعدها كما هو مخطط، لتبدأ أحداث رحلة جديدة لم تكن لتعرفها لولا وجودها معهم لحظة بلحظة؛ رحلة نداء الولادة الذي قد يستغرق أحياناً يوماً وليلة لنقل الأم إلى أقرب مستشفى.

وبهذا انتهت قصة المصورة الصحفية أليجرا بالحديث عن تجربة الولادة في الظروف الجوية القاسية في سيبيريا، بدلاً من تتبع رحلة الهجرة إلى المناطق الآمنة من الثلج

المصورة الأمريكية سوزان ميسيلاس تعرض صورة فوتوغرافية التقطت عام 1979 خلال ثورة الساندينيستا في نيكاراغوا ضد الدكتاتور أناستاسيو سوموزا في مكان يعرف باسم «كويستا إل بلومو»، حيث قتل جيش سوموزا المئات من الأشخاص. في 14 يوليو 2004، عادت ميسيلاس إلى نيكاراغوا لعرض صور عن ثورة الساندينيستا. تصوير: أوزفالدو ريفاس – رويترز.

والصقيع. فيظهر هنا عنصر جديد في الصحافة المتأنية وهو السماح لجريان الأحداث عبر الوقت بأن تفرض نفسها بعيداً عن تطويعها من أجل رغبة الصحفي في نهاية محددة.

أن ترضى متأخراً..

في تجربة لمجلة "الإرضاء المتأخر"Gratification Delayed المختصة بالصحافة المتأنية، اختار محررها ماركوس ويب أن يجري مقابلة مع أحد المصورين الذين عايشوا ثوران أكبر براكين الفلبين.

وفي العدد 30 من المجلة، عرض ويب تجربة المصور جاك كورتيز الذي كان يعتزم تغطية ثورة بركان جبل أغونغ في بالي (إندونيسيا)، قبل أن يعرض عليه صديق إندونيسي تغطية ثورة بركان آخر في الفلبين. كانت وسائل الإعلام قد غطت بالفعل ثورة البركان الإندونيسي.

وصل كورتيز إلى مقاطعة ألباي، حيث بركان مايون الذي كان في مرحلته الثالثة قبل الانفجار،

فشرع بتصوير سكان المنطقة وهم خائفون يهمّون بمغادرتها، ثم شهد انتقال البركان إلى المستوى الرابع، ونقل تصاعد أعمدة الدخان، والتقط صوراً للمركبات المغادرة.

"الإرضاء المتأخر" عرضت بعض الصور من التغطية، إحداها لتلميذات فلبينيات صوَّرهنَّ كورتيز بعد يوم من الانفجار الكبير، وكنّ يرتدين أقنعة بيضاء للوقاية من الرماد المتناثر في الهواء.

لم تكن الصورة عابرة، كان كورتيز دقيقاً ومتعمقاً في تفاصيل الحدث، تطرق إلى هشاشة الأقنعة، وشكك في قدرتها على حماية الفتيات، وفي الطريقة التي كنّ يضعنها بها على وجوههن، وتوقع أن تؤثر على صحتهن في المستقبل.

عاد كورتيز إلى المدرسة في اليوم التالي، كانت الفتيات قد غادرن إلى مراكز الإجلاء، مما دفعه إلى زيارتها وتسليط الضوء على ظروف اللاجئين هناك.

كورتيز بقي في المنطقة، تابع هدوء البركان، ثم انخفاض مستواه إلى الثالث ثم إلى الثاني خلال شهر، وعودة السكان إلى منازلهم.

نقطة مهمة لفت كورتيز الانتباه إليها خلال المقابلة، وهي أن الصحفيين ووسائل الإعلام هرعوا إلى تغطية ثورة بركان بالي لأنه يقع في محيط يؤثر على التجار الأجانب، خلافاً للبركان الفلبيني -الأخطر- الذي لا يؤثر إلا على سكان المنطقة التي يقع فيها، ولأن مطار دنباسار الإندونيسي يستقبل خلال ساعات أكثر مما يستقبل مطار ليغازبي الفلبيني خلال أسبوع كامل.

وهذا يدفعنا هنا للتساؤل: هل تندرج هذه المادة في إطار الصحافة المتأنية لأنها بحثت في ما لم تتناوله وسائل الإعلام؟ أم لأنها أخذت وقتها الكافي للنضوج؟

مردود ماديّ متأخر

تواصلت "مجلة الصحافة" مع الشريك المؤسس لمجلة "الإرضاء المتأخر" روب أوركارد، لمعرفة كيفية حفاظ المجلة على مصدر لمواردها يمكّنها من مواصلة عملها. وقد أشار إلى أنه أسس المجلة برفقة زميله ماركوس ويب، وكان التمويل ذاتيا من خلال مدخراتهما الشخصية. ومع ارتفاع عدد جمهورها، تمكنت المجلة من تعزيز مواردها من رسوم الاشتراك التي يدفعها القراء للحصول على نسخة المجلة. "المشتركون في المجلة هم ترياق الحياة لها. وبما أننا لا ننشر أي إعلانات، فالمال الوحيد نحصل عليه من خلال عائدات بيع نسخ المجلة والفعاليات التي نقيمها. وعلى هذا نحن ملتزمون بتقديم تعويضات مالية مناسبة للصحفيين العاملين لدينا، بما في ذلك تمويل سفرهم ومهماتهم البحثية وكذلك رفع نسبة التعويضات كلما ارتفعت مواردنا، وبذلك نحافظ على جودة المحتوى المنشور".

وحول الكيفية التي يمكن للمنصات الإعلامية الجديدة، التي تسعى إلى استدامة عملها، أن تحصّل من خلالها

على تمويل دون أي تدخل في السياسات التحريرية من قبل الممول، قال أوركارد "نحن سعيدون بأنه لا يوجد أي تدخل في سياستنا التحريرية نظرا لأن رئيسنا الأول الوحيد هم جمهورنا الذي يمولنا بالاشتراكات، وعلى ذلك نحن ملزمون بالاستماع إليهم، وعدا ذلك فإنه لا أحد آخر لديه سلطة على سياستنا التحريرية.. هذا الأمر مكّن المجلة من السعي جاهدة كي لا تكون منحازة إلى طيف سياسي ما، واتخاذ سياسة العقلية المنفتحة تجاه كافة الاتجاهات السياسية".

وقدم أوركارد نصائح للمنصات الإعلامية التي ترغب في الحصول على تمويل، لكنها في الوقت نفسه لا تريد لطرف أن يتدخل في سياستها التحريرية، حيث نصحهم بوضع مبدأ الاستقلالية كأساس جوهري لعملهم، مما سيخلق لهم علامة تجارية مميزة، ومن ثم السعي وراء اختيار الممولين بشكل حكيم، سواء من خلال التمويل بالاشتراكات -كما تفعل المجلة- أو التعامل مع مجموعات صغيرة من الممولين الذين لا يسعون لفرض آرائهم على السياسة التحريرية.

الصور تعيد نفسها

المصورة الصحفية الأميركية سوزان ميسيلاس ذات السبعين عاما، والحاصلة على عدة جوائز في التصوير الصحفي، تعود إلى مسرح الصور بين فترة وأخرى. وكانت المدة ما بين المرة الأولى التي تغطي فيها أحداث ثورتين في نيكاراغوا هي 40 عاما. ففي سبعينيات القرن الماضي، غطّت ميسيلاس بكاميراتها أحداث الثورة الساندينية ضد الدكتاتور أناستاسيو سوموسا، وعادت عام 2018 لتغطية أحداث ثورة 18 أبريل/نيسان ضد الرئيس الحالي دانييل أورتيغا.

ذكرت سوزان في مقابلة أجرتها معها صحيفة إلباييس الإسبانية يوم 17 أكتوبر/تشرين الأول 2017، أن لكل صورة حدوداً، ولهذا فهي لا تعرف إن كانت (الصور) تظهر الحقيقة كاملة. تتحدث سوزان عن الزمن في الصور، فتقول: "يتوقف الزمن في كل صورة، لكن الناس لا يرون ذلك؛ فالصورة بالنسبة لهم نقطة الانطلاق لبناء حكاية.. المهم أن نعرف ما تكشفه كل صورة في الحاضر وما ستكشفه في المستقبل عن الماضي".

في العام 1979، التقطت سوزان صورة اعتبرت من أيقونات الثورة، وهي صورة "رجل المولوتوف" ، التي تظهر متمردا من جبهة الساندينيستا يدعى بابلو آراوس، وهو على وشك إطلاق زجاجة حارقة. أصبحت تلك الصورة رمزا للثورة الساندينية والمقاومة، بجانب صور شباب يلقون القنابل على جيش سوموسا في مدينة مونيمبو. وكانت تلك من أوائل الصور التي تنشرها الصحف الأميركية.

لم تتوقف سوزان عند تصوير أحداث الثورة، بل عادت إلى نيكاراغوا وتتبعت مصائر أبطال صورها، وفي أحد معارضها عرضت مقاطع فيديو للمقابلات التي أجرتها مع أبطال الصور، وهم يتحدثون عن وقت التقاطها، لتظلَّ سوزان وفية لفكرة "إعادة توطين الصورة وإرجاعها إلى أبطالها"، بحسب مدير مؤسسة "تابيس" في برشلونة الإسبانية كارلوس غيرا.

وكانت سوزان قد عادت إلى نيكاراغوا عام 2004، أي بعد 25 عاماً من تصويرها "رجل المولوتوف"، وعلقت صورا بأحجام كبيرة على الأماكن التي التُقطت فيها في زمن مضى.

تسمح الطبعة الأخيرة من كتابها "نيكاراغوا" بأن يضع القراء هواتفهم المحمولة على الصفحات لرؤية المقابلات التي أجرتها مع أبطال الصور، مواكبة بذلك التطور التقني الحاصل في "الواقع المعزز".

تجربة عربية

وكتجربة عربية رائدة، يسعى معهد الجزيرة للإعلام في شبكة الجزيرة الإعلامية لإطلاق منصة جديدة يمكن اعتبارها إحدى أولى المنصات العربية المتخصصة في الصحافة المتأنية التي تعنى بقصص الإنسان والمكان، ونقل هذه القصص وفق مقاربة أنثروبولوجية تستند إلى المعايشة والاحتكاك المباشر بواقع المجتمعات الإنسانية حول العالم.

ويمكن تلخيص مبدأ المنصة بأحد شعاراتها التي تأسست عليها وهو "رحلة في الاتجاه المعاكس.. الذهاب إلى موقع الحدث عندما يغادره الصحفيون"، حيث تهدف إلى الخروج من وطأة الأخبار اليومية والانتقال إلى الكتابة المتأنية المتأملة للأحداث، وبناء سردية قصصية واقعية بعيداً عن خيالات العوالم الافتراضية والصور النمطية التي تخلقها عن المجتمعات البشرية.

الكوبيون لا يدخنون السيجار ولا يقدرون على دفع ثمنه، فن الهيب هوب في ميديين الكولومبية له سحر يستطيع منع الشباب من الوقوع في وحل الجريمة والمخدرات هناك، أو أن هناك قدساً أخرى وبيت لحم ونهر أردن في إثيوبيا، وغيرها من القصص التي ما كان للإعلام أن ينتبه لها في ظل غوصه في تسارع الأحداث الآنية وانشغاله بها.

المنصة ستنطلق قريباً، وستعمل على إنتاج 12 قصّة صحفية سنوياً بأسلوب الصحافة المتأنية، بشكل يحفّز الصحفيين على السفر والعيش مع المجتمعات وتأملها ومن ثم الكتابة عنها بطريقة منصفة بعيدة عن الاستشراق والتصورات النمطية. تكمن خصوصية الصحافة المتأنية في سرد التفاصيل التي تقرب من الحدث، لتحل هذه التفاصيل محل الرأي المباشر الذي قد يقدمه محرر الخبر من حيث يدري أو لا يدري؛ فوصف الأحداث كما هي يعطي القارئ حرية تشكيل الرأي تجاه أي قضية، لتعود الصحافة إلى واحد من أصولها: الموضوعية.

ورغم أن أساسيات هذا النوع من الصحافة لم ترس أعمدتها بعد، فإن أهم ما يميزها هو عامل الوقت مضافاً إلى القيمة الخبرية للقصة. والمعنى من الوقت أي أن ثمة حركة بالزمن تتغير فيه الأحداث نحو حل للعقدة، أو إيجاد للأسئلة التي يطرحها الحدث.

المصورة الأميركية سوزان ميسيلاس وهي تغطي الحرب الأهلية في نيكاراغوا عام 1979. تصوير: ماثيو نايتسونز - غيتي.

كيف تحارب الصحافة المتأنية الوجبات السريعة

محمد خمايسة

تسعى الصحافة المتأنية للحفاظ على قيم الصحافة الأصيلة، وتتصدى للأخبار والتحليلات السريعة التي تمنح شعورا بالشبع المعرفي، رغم أضرارها على صحة المتلقّي «المعرفية».

عندما ينخرط الصحفيون في الازدحام للحصول على السبق، دائما ما تقع من موادهم المعلومات التي تحتاج إلى ترو لكي تظهر. الصورة لصحفيين أمام القنصلية السعودية في إسطنبول بعد حادثة اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي. تصوير: مراد سيزير - رويترز.

وصف المفكر الفرنسي بيار بورديو ذات يوم، وسائل الإعلام والمعرفة التي تزود العامة بها بأنها منصات "المفكرين السريعين" (Fast-Thinkers)، في استعارة لمصطلح الوجبات السريعة (Fast-Food)؛ لاعتباره أن تلك المعلومات التي تقدّمها المقالات والمحتويات الإعلامية التحليلية، ما هي إلا وجبات فكريّة سريعة تُشعر المتلقّي بالشبع المعرفيّ، لكنّها تَضرُّ بصحته.. صحته المعرفيّة في هذه الحالة.

وإن بقينا في استعارة بورديو، فإن الأخصائيين الغذائيين والبيئيين شكّلوا في نهايات القرن الماضي ما عُرف بحركة الوجبات البطيئة (Slow-Food Movement) التي تُعرّف نفسها بأنّها حركة أُسّست من أجل "الحيلولة دون اختفاء ثقافات وتقاليد الأطعمة المحليّة، والتصدي لانتشار مظاهر الحياة السريعة، ومكافحة ظاهرة قلّة اهتمام الناس بالطعام الذي يتناولونه"(1).

وفي ذات المقاربة، يمكنني وصف الصحافة المتأنية (Slow-Journalism) بكونها تسعى للحفاظ على قيم الصحافة الأصيلة، المتمثلة في العمق والرصانة والنضج والفهم الشامل للأحداث، والتصدي للحياة السريعة التي خلخلت تلك القيم، ومكافحة ظاهرة السأم من التعاطف (Compassion Fatigue) التي قلّلت من اهتمام النّاس بالقضايا المحيطة بهم، وجعلت الصحفيين غير قادرين على جذب تعاطف العامّة مع القضايا العادلة. ومن الجدير بالذكر أنّ ظاهرة السأم من التعاطف قد رُبطت بتسارع الأخبار وسهولة وصولها إلى الناس(2).

وربما يُثار تساؤل هنا حول التسمية نفسها، هل هي صحافة متأنية أم بطيئة، وهو سؤال له وجاهته. والبتّ في هذا الخلاف، يتجلى في سؤال "هل هي مواد صحفية تحتاج وقتا لتنجز، أم مواد تحتاج معلوماتها وقتا لتنضج؟".

ما الحاجة إلى الصحافة المتأنيّة؟

في عصر تزدحم فيه الأخبار الآنيّة التي تستلزم متابعة سريعة من الصحفيين، وفي ظل الاحتياجات الجديدة للجمهور بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعيّ، طُرحت معادلة جديدة في الصحافة أجبرت الصحفي على إنجاز مواده -إخباريّة كانت أم تحليليّة- في وقت قصير جداً، نظراً لأنّ ازدحام الأحداث يفقد المادة الصحفية أهميتها إذا تأخرت يوماً أو اثنين بعد وقوع الحدث. هذا الاضطراب الذي دخل غرف الأخبار حول العالم، يُبقي المواد الصحفيّة بعيدة عن العمق الذي يصف الحدث بكافة أركانه، عمق يتطلّب من تلك المواد الصحفية أن "تُطبخ على نار هادئة" دون الخشية من فقد المادة أهميتها لدى العامة.

هذا الأمر دفع عدداً من الصحفيين والأكاديميين إلى التوقف قليلا وإعادة النظر في الجوانب والمعالجات التي فُقدت في كثير من التغطيات بسبب عدم امتلاك الصحفيين الوقت الكافي لإنضاج موادهم، مما مهّد الطريق أمام مصطلح جديد قديم هو الصحافة المتأنية الذي يقوم على مبدأ أن الفهم الكامل والمعمّق للأحداث، يتطلّب من الصحفي التأني والتأمل فيها، ليشكّل فهماً أكثر نضجاً عنها، وبالتالي يستطيع معالجتها بشكل أعمق.

والقول إن هذا المصطلح جديد قديم، يأتي من أن التنبّه إلى معضلة السرعة وتأثيرها على العمق، سبق أن طرحه العديد -وإن لم يكن بهذا التعبير- من علماء الاجتماع نهايات القرن الماضي، مثل بيير بورديو (1930-2002) في كتابه "التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول"(3)، وطروحات جيل دولوز (1920-1995) التي تطرق فيها إلى معضلة التلفزيون ودوره السلبي في تسطيح المعلومات وتزويد العامة بمنظور عام عنها دون امتلاكه -أي التلفزيون- الوقت الكافي للتعمُّق في القضايا وتفسيرها بشكل سليم، حيث اتخذ -رفقة مفكرين آخرين- موقفاً بعدم الظهور في مقابلات تلفزيونية لطبيعة الإطار الذي يفرضه الصحفيون عليهم، ويجعل طروحاتهم تؤخذ بمعالجة غير مكتملة (أو مُسيّرة) وبالتالي غير دقيقة.

الإعلام ووهم المعرفة

تطرّقت العديد من الدراسات الأكاديميّة الإعلاميّة إلى دور وسائل الإعلام في خلق ما يسمّى "وهم المعرفة" ، حيث رجّحت إحدى الدراسات(4) أن المحتوى الإعلامي المُختزل وغير الشامل، قد يساهم في تعزيز وهم المعرفة لدى المواطنين، ويجعلهم يشعرون أنهم مطّلعون على الشأن الجاري وقادرون على الحكم عليه.

أي أن الإعلام بتقديمه المعلومات والتحليلات السطحية للأحداث، يساهم في جعل العامة يشعرون بأنّ معرفتهم حول تلك الأحداث قد ارتفعت، مما يترتب عليه اعتقاد أنهم قادرون على التصرُّف حيالها. فكم من مرة رأينا فيها محلّلين يخرجون على الهواء بعد دقائق من وقوع حدث ما، ويدخلون بإسهاب في تحليل أبعاده، على الرغم من أنّ الحدث نفسه لم يمر على وقوعه سوى دقائق، ولا يمكن فهم تبعاته غالبا بهذه السرعة.

غير أنه لا يمكن لوم الإعلام على هذا، فالجمهور عندما يسمع بطريقة أو بأخرى، عن وقوع حدث ما في مكان ما، فإن أول ما سيقوم به في العادة هو البحث عن الوسائل الإعلاميّة التي تقدم له تلك الوجبة المعرفيّة السريعة التي اعتاد أن يشبع بها. وإن اتخذت وسيلة إعلام ما موقفا بعدم تقديم هذه التحليلات السريعة للأحداث، من منطلقات غياب المعلومات الشافية الدقيقة، والالتزام بتقديم العمق على السّبق، فإنها ستخسر جمهورها لصالح وسائل إعلام أخرى.

لذا، فإن تلك الوسائل تضطر -مُرغمة إن جاز القول- لأن تقدم هذه الوجبات السطحية من التحليلات التي تسمن وتغني المشاهد بجرعات معرفيّة، وهمية في غالب الأحيان وسطحية في أفضلها، على حساب المعرفة الشّاملة الدقيقة، بسبب ضريبة الغياب عن السبق، التي لا يمكن أن تستوعب الوسائل الإعلامية الكبرى دفعها لقاء تقديم محتوى أعمق.

أي أنّ سرعة نقل الأخبار -رغم ما فيها من سلبيّات- فإنها تبقى مهمة وضروريّة في خدمة العامة وإطلاعهم على الأحداث التي تجري من حولهم، انطلاقا من وظيفة رئيسية من وظائف الصحافة، وهي ممارسة دورها التحذيري الذي تلتزم به أمام المجتمع. لذا كان لا بد من إفراد مساحة أخرى تعنى بالنظر إلى الأحداث بمنظور أكثر عمقا، عمقٌ يتطلّب من الصحفيين جهداً أكبر وبالضرورة وقتاً أكثر مقارنة بالوقت المتاح لهم في

لا تستطيع وسائل الإعلام أن تترك الأحداث دون تغطية آنية، وإلا فإنها ستخسر جمهورها لصالح وسائل إعلام أخرى. الصورة من داخل غرفة أخبار قناة الجزيرة الإنجليزية خلال تغطية أحداث الثورة المصرية 2011. تصوير: فادي الأسعد - رويترز.

معالجة الأحداث آنيًا.

هذا الوقت يسمح للصحفيين بالتعمّق أكثر في أبعاد الأحداث وسيناريوهاتها، ويفرد مجالاً أمامهم لتشكيل مواد صحفية أكثر نضجاً وعمقاً، بشكل يزود الجمهور بفهم أوسع وأشمل -وبالضرورة أدق- للقضايا التي تحيط بهم. وبالتالي يمكن القول إنّ الصحافة المتأنية ستساهم في خدمة العامة بشكل أفضل، ويمكن اعتبارها الخطوة المكمّلة لجهد الصحافة الآنيّة في إخبار العامة بما حدث.

الصحافة المتأنيّة؟

سوزان غرينبرغ كانت أول من استخدم المصطلح في مقال (5) لمجلة "بروسبكت" عام 2007، حيث استخدمت مفهوما اقتصاديا ظهر مؤخرا حول "نهاية الوسط" وأسقطته على الصحافة. رأت سوزان أن أسلوب القوالب الصحفية الطويلة غير القصصية (Nonfiction Long-Form) يمكن أن يُنهي احتكار ثقافة الصحافة السريعة، ذلك أنّ الأخبار العاجلة القصيرة تصل إلى المواطنين مجاناً عبر خدمات الأخبار، وفي الوسط تقع الصحافة المطبوعة التقليديّة، وهو ما رأت أنه قطاع بدأ يخسر جمهوره، وبالتالي فإن النهاية يجب أن تكون بازدهار سوق المقالات والتقارير وأنواع الكتابة الأخرى -غير القصصية- التي تأخذ وقتا لاستخلاص المعلومات؛ تلاحظ القصص التي أغفلها الآخرون، وتنقلها للعامة وفق أعلى المعايير الصحفيّة، وهو ما خلصت إلى تسميته "بالصحافة المتأنيّة"(6).

مجلة الإرضاء المتأخر (7) -أحد المشاريع الإعلامية التي أخذت الصحافة المتأنيّة منهجاً في إنجاز موادها الصحفية- تشير إلى أنّها "تأخذ وقتاً لممارسة الأشياء بشكل سليم، وأنّه بدلا من المحاولات البائسة للتغلب على تويتر -في إشارة إلى التغلب على سرعة تداول الأخبار عبر تويتر- فإنّنا نعود إلى القيم التي يريدها الجميع من الصحافة، وهي: السياق، التّحليل وآراء الخبراء". وأنّ المجلة لجأت إلى الصحافة المتأنيّة "لإعادة النظر في الأخبار بعد أن ملأها الغبار، ومن ثم إعطاء العامة التحليل النهائي حول القصص التي كانت يوما تهمهم"(7).

وأخيراً، وما يمكن اعتباره الشاهد من هذا المقال، هو أن الحاجة المُلحّة لانتشار ثقافة الصحافة المتأنيّة عربيّا، تتأتى من كون الشارع العربي يضجّ بالأحداث المتسارعة المتلاحقة التي تحوّل الصحفي إلى آلة كاتبة تنقل المعلومات، مما يحول دون ممارسته لأهم أدواره التي يتحمّل مسؤوليتها الأخلاقية تجاه المجتمع، وهي تزويده بالمعرفة الشاملة والدقيقة الناضجة حول الأحداث، بمعزل عن أي آراء. وهذا يستلزم من الصحفي التعايش والتفاعل مع الأحداث بطريقة متأنيّة تؤمّن له مَقعدا مُطلاً على المسرح كاملا، لا على زاوية محدّدة من زواياه.

المراجع:

1- «About Us.» Slow Food International. Accessed December 26, 2018. https://www.slowfood.com/.

2- Gabbert, Elisa. «Is Compassion Fatigue Inevitable in an Age of 24-hour News?» The Guardian. August 02, 2018. Accessed December 26, 2018. https://bit.ly/2OG3Rku.

3- بورديو، بيار، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي، دمشق، دار كنعان، 2004.

4- Weber, Mathias, and Christina Koehler. «Illusions of knowledge: Media exposure and citizens' perceived political competence.» International Journal of Communication 11 (2017): 17.

5- Greenberg, Susan. «Slow Journalism.» Prospect Magazine. February 25, 2007. Accessed December 26, 2018. https://bit.ly/2Q2BpbO.

6- انظر أيضا: Le Masurier, Megan. «What is slow journalism?.» Journalism Practice 9, no. 2 (2015): 138-152.

7- https://www.slow-journalism.com/

هناك دائما جمهور يريد القصة كاملة، ويستطيع أن يصبر على الصحفيين حتى يُنضجوا ما لديهم من مواد. الصورة لرجل يقرأ إحدى الصحف المحلية في سوق واقف الشعبي في قطر. تصوير: فرانسوا نيل - غيتي.

إعلام ما بعد الربيع.. ما يُمكن أن تقترحه الهوامش المأزومة

معاد بادري

ماذا نفعل بالإرث؟ وأين نذهب بمُمكنات الحاضر؟ الإرث هنا ما راكمناه إعلامياً خلال قرابة قرن وعقدين، ومُمكنات الحاضر تُشير إلى القواعد والقوالب الصحفية والتقنيات المتاحة اليوم.

يمكن القول إن الصحافة العربية لمست تحررا من الأجندة الرسمية إبان المراحل الانتقالية في دول الربيع العربي، إلا أنها سرعان ما وقعت في أجندة التيارات السياسية. الصورة من ميدان التحرير صبيحة تنحي حسني مبارك عن السلطة في 21 فبراير 2011. تصوير: جون مور - غيتي.

إن وظيفة الإخبار كما تقترحها الأدبيات الغربيّة، تُختزل عادة في تمكين الناخب (1) (يسمى قارئاً/ مشاهداً/ متابعاً تارةً، ومستهلكاً كثيراً) من التصويت الصائب، ومن محاسبة وعقاب من صوّت له لاحقاً. كل ما يأتي بعد ذلك، لا يعدو كونه تفصيلاً أو تطويراً لهذه الوظيفة لا غير.

إن هذه الوظيفة كما ترسّخت هناك، تعتبر أنّ المواطن المُخبَر جيداً(2) يستطيع التصويت بما يخدم النظام المتوافق عليه (الديمقراطية الليبرالية، واقتصاد السوق الحرّ، والحتميّة التكنولوجية) ويحافظ عليه، كما يمكّنه من تتبّع مصير تصويته من باب التعبير الشهير: "ربط المسؤولية بالمحاسبة".
إن هذا الاختزال المُعمَّم الذي استُنسِخ عالمياً، ورُوِّج له باعتباره النموذج الأمثل والشكل النهائي لما يجب أن تكون عليه الصحافة الجادة، يشبه إلى حدٍّ كبير أطروحة نهاية التاريخ (3) وانتصار الديمقراطية الليبرالية بعد نهاية الحرب الباردة، إذ اعتبرت هذه الأطروحة أن النظام الليبرالي بانتصاره على "شبح" الشيوعية والاشتراكية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، أصبح النموذج الأوحد الذي يجب أن يُعمَّم. إن الفرضية الكامنة وراء هذا الزعم تُلغي أي اقتراح يُمكن أن يصدر عن الهوامش، أو سمّها ما شئت.

جدليّة الهوامش

الهوامش قد تكون وليدة هذا النظام بشكل من الأشكال، لكنّها تهدّد كل هذا التقليد الذي بُني على مدار سنوات، وأصبح أيديولوجية صلبة تقمع معنوياً ومادياً أي اجتهاد من خارجها. خذ كمثال على ذلك، ما سُمّي في فترة من الفترات إعلام المواطن (4) الذي استفاد بالأساس من التقنيات التي ولّدها هذا النظام، ليعبّر عن تجاوز هذه البارادايغمات المشروطة (5) والمحدّدة سلفاً، ويجبرها في الآن ذاته على إدخاله من النوافذ، بعدما أغلقت الباب في وجهه.

الهوامش هم نحن أيضاً، والقصد هنا ما يسمّى "الجنوب" و"العالم الثالث" وغيرهما، والأهم هنا المنطقة العربية بالأخص. إنّنا نتحمس مهنياً لهذا النموذج، نتعلمه

مواطن لبناني يطالع عناوين صحف معلّقة على إحدى الجدران في ساحة الشهداء في لبنان بعد قرار انسحاب القوات السورية من لبنان عام 2005. تصوير: ماركو دي لاورو – غيتي.

ونبشر به، لكننا لا ننجح في تطبيقه بالضرورة (6)، ليس لأننا لا نريد، أو لا نستطيع ولا نملك كفاءات لذلك، بل لأننا لا نسير على نفس السكة ببساطة. يهدف المهنيون منّا إلى إخبار الناخب المُفترض، لكن لا ناخب لنا ولا انتخابات. ويسعى الكثيرون إلى إنتاج تقارير وتحقيقات استقصائية، من باب ربط المسؤولية بالمحاسبة، أو بغرض المحاسبة فقط، لكن قليلاً -وقليلاً جداً- ما يحدث ذلك، إذ لا مسؤول فعليّاً أمامنا لنحاسبه.

يردّ البعض هذا "الخلل" المهنيّ إلى عدم اهتمام "القارئ" العربي، وإلى انخفاض مستويات "الوعي"! في حين يصرّ آخرون ممّن يعتبرون أنفسهم حرفيين أكثر من غيرهم، على أن السبب كامنٌ في عدم تطبيق شروط العمل الحرفي (كما صُنعت غربياً) كما يجب: انظر مثلاً تهليل البعض لكل إنجاز صحفي غربي فقط لأنه غربي؛ تهليلٌ دائماً ما يُتبع بسؤال تهكّمي عن صحافتنا، في حين يذهب آخرون إلى أننا نتوجه نحو المُخاطَبِ الخاطئ، وأن علينا ترجمة ما ننتجه إلى لغة عالمية، إذ إن "مسؤولينا" إنّما هم مسؤولون أمام أنظمة غربية بعينها، لا أمامنا. غير أن هذه التفسيرات لا تعدو أن تكون تمويهاً إرضائياً يستخدم لغةً مستوردة، ليسكن تشخيصاً مستورداً لما يمكن اعتباره "مرضاً" محلّياً له خصوصيّته. أصبح من السذاجة اليوم القولُ بإمكان الفصل بين السياسي والإعلامي، من باب أطروحات "الحرفة" المحضة، والموضوعية والحيادية. الإعلام مُسيّس قطعاً، وهو أداة سياسية إن أردته أن يكون "مستقلاً"، أو أداة للسياسة في باقي/ جلّ الحالات. حتّى التقليد الصحفي الغربي الذي يُقدَّم اليوم على أنّه حرفة مستقلّة لها وظائفها، لا يُنكر ذلك صراحةً؛ إذ يفخر بكونه سلطة رابعة بعد ثلاث سلطات سياسية، ويهدف إلى خدمة "الناخب" كما سلف، وهي وظيفة سياسية. كما أنّه يتجنَّد سياسياً بشكل فجّ (ليس تعبيراً سلبياً بالضرورة) أوقات الأزمات، قس على ذلك الإعلام الأميركي بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001، وشعار صحيفة "واشنطن بوست" بعد صدمتها وبقية الإعلام "الليبرالي" من انتخاب ترمب(7): Darkness in Dies Democracy

تغيير الأجندة لا إعادة ترتيبها

إذا ما سلّمنا بهذه الحقيقة (ليس تسليماً عصيّاً ولا جديداً)، يصبح قولُ من قبيل أنّ لنا أجنداتنا السياسية الخاصة؛ أمراً تابعاً بحكم منطق ما. كانت لنا صُحف في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي تدّعي أن لها خصوصية محلية صرفة، غير أنها لم تكن صحفاً سياسية بالضرورة، بقدر ما كانت حزبية محدودة. كما أن طفرة التلفزيون الإخباري كانت بِشارتها المفضلة أنها توصل صوت المنطقة باستخدام أدوات الحرفة "المتوافق" عليها عالمياً، لكن هذا لم يكن سياسةً بقدر ما كان جواباً في حواريّة "الأنا" و"الآخر". لقد مارس هذا الإعلام (8) خصوصاً في الفترة التي تلت أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001 وحربي أفغانستان والعراق؛ نوعاً من السياسة حقّاً، لكنه تخبَّط بعدها في مرحلة "ما بعد الحرب"، وعاد وانتعش في فترة الثورات والانتفاضات العربية عام 2011، لكنه ضيَّع البوصلة أيضاً في مرحلة "ما بعد الثورات".

قبل ذلك بقليل، جاء إعلام الشبكة وإعلام المواطن والمدونات، وحمل الناس الكاميرات وانكبّوا على لوحات المفاتيح، وكانت لهم أحداث تاريخية عايشوها.. كتبوا وصوروا وناقشوا ونشروا وغرّدوا بهدف مُضمر كان يسخر من الحزبية الموجهة، ومن الحرفية المقيدة في آن. كانت فترة حيوية بحق، لها من الإيجابيات الكثير، لكن سرعان ما تبين -خصوصاً بعد صدمة الثورات المضادة- أنّ هذا الخيار لا يعدو أن يكون صراخاً غاضباً، لا يخلق سياسة بقدر ما ينفّس على الفرد.

خرجتْ عن جيل الإعلام الإخباري الأكبر، وعن جيل إعلام الشبكات الأصغر، توليفة "عقلانيّة"، بدا لها أنّها فهمت فخاخ النموذجين، وأرادت أن تُطلق نموذجاً رابعاً يأخذ من الثاني (التلفزيون الإخباري) الحرفة وشروطها وتاريخها، ويأخذ من الثالث (إعلام الشبكة) جرأته وجدّته وتقنياته. لكن وبعد

كانت الهواتف المحمولة إبان ثورات الربيع العربي؛ أداة الشعوب لنقل المشهد كما يعيشونه لا كما تؤطره أجندات وسائل الإعلام. الصورة لمواطن يوثّق أعمدة الدخان المتصاعدة بعد غارات على مقر للجيش اليمني في صنعاء عام 2102. تصوير: خالد عبد الله - رويترز.

تجارب لها عمر افتراضي لا يتجاوز السنوات الخمس (إذا ما افترضنا لحظة الانقلاب المصري ساعة ولادته الافتراضية)، تبيّن أن التعب السياسيّ سحب كثيراً من هذه التجارب نحو الترفيه الذي يلبس حلّة الجدّية، أو نحو خطاب الخلاص الفردي والهويات الفرعية وبقيّة الثيمات الشائعة عالمياً، وهذا التفصيل الثاني دفع كثيراً من التجارب نحو خيار الترجمة المُصاغة لما ينتج غربياً فقط. هذه المرحلة رفعت شعارات من قبيل: الصحافة السرديّة، والصحافة المتأنية، وصحافة المحتوى، أو ما أصبح متعارفاً عليه عالمياً باسم صحافة النمط الطويل، وهو نمطٌ لم يأخذ شكله الكامل بعد، وما زال بإمكانه تعبيد الطريق نحو مخرج ما، لكن من المبكر التكهن بذلك.

بحثاً عن الحل: العودة إلى السياسة؟

إن كل تطوّر حدث في التحقيب المُختزل للصحافة العربية، كان يقوم بأحد أمرين: الأول، تغيير المنصات وإدخال التقنيات، أو تغيير القوالب. والثاني إعادة ترتيب الأولويات والأجندة، أو يقوم بهما معاً. لكنّ المشكلة تكمن -ربما- في هذا الأمر الثاني. إن هذه الأجندات التي نعيد ترتيبها أمام كل أزمة، وجب أن تتغيّر برمتها إن أردنا تجاوز الأزمة فعلاً. إن تغييرها يجب أن يكون سياسياً لا مهنيّاً/ حرفيّاً، ونقاش تغييرها يجب ألا يكون بين حرفيي الإعلام فقط.

نقاشات من هذا القبيل لن نجدها "هناك" كي نستوردها ونعرّبها، لأنهم أنهوا نقاشهم منذ عقود، وتقاتلوا من أجله مادياً وقانونياً وأخلاقياً، وهم يطورون هذه النقاشات اليوم (صحافة ما بعد الحقيقة). أما نحن فلا نحتاج تطويراً بقدر ما نحتاج أن نخلق نقاشاً من نقطة الصفر؛ نقاشٌ لا بدّ أن يكون هدفه العريض والأكبر: ما السياسة؟ وماذا نريد منها؟ ومن أين نبدأ؟ ومن هم الأعداء المفترضون لنقطة البداية هذه التي قد نصل إليها؟

ماذا نفعل بالإرث؟ وأين نذهب بمُمكنات الحاضر؟ الإرث هنا ما راكمناه إعلامياً خلال قرابة قرن وعقدين، ومُمكنات الحاضر تُشير إلى القواعد والقوالب الصحفيّة والتقنيات المتاحة اليوم. إن مجرّد الإجابة عن الأسئلة آخر الفقرة السابقة، ستمكّننا من مراجعة الإرث وغربلته، وهو أمرٌ لن يكون سهلاً بين أبناء المهنة، بل قد يكون معركة من معارك تكسير العظام، ستكشف عن ملامحها حالما تنطلق.

أمّا سؤال التقنيات المتاحة عالمياً فقد يكون سؤالاً متجاوزاً نوعاً ما، لأنّ كل الحديث لم يكن عن الأدوات بقدر ما كان عن الغايات، على الرغم من أن بعض الأدوات مُسيسة في الأصل، وفعل الغربلة قد يطال بعضها أيضاً. خذ "صحافة البيانات" مثالاً على ذلك.. إنّها تعتمد جزئياً -كما بدأت غربياً- على البيانات أو البيانات الضخمة المتوفّرة في المصادر المفتوحة، أو في أرشيفات الحكومات، أو الوثائق التي يصل إليها الصحفيُّ الغربي عن طريق "الحق في الوصول إلى المعلومة"، بيد أن هذه البيانات إن توفّرت عربياً -وقلّما يحصل ذلك- لا تكون موثوقة بالضرورة، ولا يمكن الاعتماد عليها كليّا، وبالتالي يُصبح على الصحفي العربي عبء مضاعف: الحصول على البيانات بصعوبة، ففحصها وتنقيتها والتعديل عليها، ثم الانتقال إلى العمل التقني الصرف.

إنّ فتحات الغربال الذي سيفرضه علينا الخيار السياسيّ هي التي ستحدّد لنا ما الذي سيعبر منها، وما الذي يجب أن نتخلّص منه، وهذا حديث آخر لا بدّ له من وقفة أخرى. قبلها يجب أنّ نتذكّر شيئاً واحداً: ليس علينا أن نخجل من "وصمة" الإعلام "المسيّس"، من باب الحفاظ على الحيادية والموضوعية المزعومة. سيكون هذا اقتراحنا... اقتراح "الهوامش".

المراجع:

1- Dewenter , Ralf, Melissa Linder, and Tobias Thomas. "Can Media Drive the Coverage on Party Affiliation and Voting Intentions." April 20108. https://bit.ly/2AhKjgN

2- Ilya Somin. "Do Voters Know Enough to Make Good Decisions on Important Issues? Reply to Sean Trende." Cato Unbound. October 22, 2013. https://bit.ly/2EPeWhs

3- Fukuyama, Francis. "The end of history?." The national interest 16 (1989): 3-18. https://bit.ly/2LASrNQ

4- Bulkley, Kate. "The Rise of Citizen Journalism." The Guardian. June 10, 2012. https://bit.ly/2kHjLid

5- Johnson, Kirsten A., and Burton St John III. "Citizen Journalists' Views on Traditional Notions of Journalism, Story Sourcing, And Relationship Building: The persistence of legacy norms in an emerging news environment." Journalism Studies 18, no. 3 (2017): 341-357.

6- Doyle, Chris. "The Press and the Arab Spring: Six Reasons for Failure." June 6, 2011. https://bit.ly/2GGGxDc.

7- Farhi, Paul. "The Washington Post's New Slogan Turns out to Be an Old Saying." The Washington Post. February 24, 2017. https://wapo.st/2VbLneF.

8-http://studies.aljazeera.net/en/publications/2016/10/al-jazeeras-experience-academic-book-161026082531732.html

بين الآنية والمتأنية.. هل تنجح الصحافة الرقمية؟

محمد الشاذلي

إذا أردنا تحديد موقع الصحافة الآنية داخل مساحةٍ يُحتمل فيها قبول المستويات المختلفة من العمق والتفريعات الصحفية، فيجب أن نتقبل حقيقة الإعلام الرقمي. إنه المساحة الوحيدة التي يمكن خلالها للصحافة المتأنية أن تزدهر بجانب الصحافة الآنية.

تستند ثقافة الإبطاء على إعطاء المواد وقتها لتنضج، وهذا يتطلب من الصحفي التفرّغ للقصة ومعايشتها لفترة من الزمن؛ ليتمكن من الكتابة عنها. الصورة لتونسي يسكب الشاي خلال المهرجان الدولي للصحراء في تونس. تصوير: ستيفاني كيث – غيتي.

التهمة: الصحافة الآنية تعزز من السطحية وتخدم النمط الاستهلاكي، وهي صحافة "ما يطلبه الجمهور"..

المتهمة: الصحافة الرقمية!

حيثيات الادعاء: مذ أصبحنا في عصر السرعة، عصر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، صار الجميع يتسابق لينال السبق لا ليصيب الحقيقة ويقوم بدور الصحافة الأصلي في كشف الحقائق والإخبار عنها. والحل هو "الصحافة المتأنية".

الدفاع: حين طُلب مني كتابة هذا المقال، وجدت نفسي محصوراً في خانة الدفاع عما سُمي بالصحافة الآنية التي قُرنت بشكل غير منطقي بالصحافة الرقمية، في مقابل الصحافة المتأنية. لكن لا أجدني في محل الدفاع عن الصحافة الآنية، بل أجدني مضطراً للقيام بدور تفكيكي قد يوضح ما في التهمة وتوجيهها للصحافة الرقمية من تهافت.

ما هي ثقافة الإبطاء؟

سأبدأ هنا بلوم الترجمة العربية التي حاولت تغيير معنى ووصف حركة الإبطاء العالمية التي انبثق من رحمها مفهوم صحافة الإبطاء (Journalism Slow)، حيث حولت ترجمة كلمة "Slow" إلى التأني وليس الإبطاء أو البطء، ربما مراعاةً للصوابية السياسية (Correctness Political)، وهروباً مما يحمله الإبطاء من معانٍ سلبية. لكن استمرار استعمال التأني محل الإبطاء يعد انسلاخاً من المعنى الأولي للحركة وخيانة لتلك الثقافة، فهي لا تحارب التسرع فقط، بل تحارب السرعة وما تقتضيه من الاستهلاكية.

من المهم معرفة دوافع حركة صحافة الإبطاء التي يصفها أبرز روادها كمجلة "الإرضاء المتأخر" في موقعهم على الإنترنت، بأنها "مثل بقية حركات الإبطاء كالوجبات البطيئة (لا يمكن نعتها بالمتأنية كما هو واضح)، والسفر البطيء، فإننا نأخذ ما نحتاجه من وقت كي نقوم بالشيء بشكل صحيح". بدأت ثقافة الإبطاء في إيطاليا خلال ثمانينيات القرن الماضي مع مشاركة كارلو بيتريني في حملة مناهضة لافتتاح فرع لسلسلة مطاعم ماكدونالدز قرب أحد أهم معالم روما التاريخية. الحركة كانت مناهضة للوجبات السريعة، وهدفها كان استعادة النظام البيئي الأفضل للأكل والطعام عبر الزراعة الطبيعية العضوية والطبخ البطيء التقليدي للطعام وتناوله بهدوء.

انتشرت ثقافة الإبطاء وتوسعت وامتدت إلى مجالات مختلفة كصرخة في وجه "عصر السرعة"، وأصبحت جزءاً من دعوات أكبر تشكل حركة مناهضة للاستهلاكية.

رغم أن مصطلح "Slow Journalism" حديث نسبياً، فإن الممارسة نفسها ليست كذلك، وهو ما وضحه بالتفصيل مايكل بلاندينغ في مقاله حول حاجتنا إلى صحافة الإبطاء. فإذا كانت الممارسة الصحفية تلك موجودة قبل ذلك وليست جديدة، فما الدافع وراء صعودها في هذه الفترة من الزمن تحديداً؟ هل الصحافة الآنية هي الجديد الذي طرأ؟

يمكن اعتبار ثقافة الإبطاء ثورة على نظام عام جعل السرعة ضرورة لا يمكن التفريط بها، تتجلى في بيئات العمل وعادات التسوق وكل ما يمثل أجهزة ذكية، فالسرعة في حد ذاتها صارت هدفاً مرجواً وصارت مرادفة للذكاء والكفاءة والفعالية والرقمنة. لكن الأهم من كل ذلك أنها صارت الطابع المسيطر على الاستهلاكية بكل جوانبها.

الإعلام الرقمي ضرورة حقيقية أم اختراع استهلاكي؟

يعدّ الإعلام الرقمي نوعاً من المنتجات الإعلامية التي تتخذ وسيلة رقمية كوعاء وقالب تتم عبره عملية الاتصال وتتميّز بالتفاعلية (أي القدرة على طرح وجهة نظر الجمهور وصانع المحتوى بنفس القدر والقدرة على عرض تفاعل الجانبين). ونشأ الإعلام الرقمي بشكله

الحالي استجابة لتطور تقني.. الأمر يسير على النحو التالي: التقنية تجد وسيطاً جديداً لإرسال الرسائل، تدرك الإرادة الإعلامية أهمية الوسيط الجديد، فيصنع الإعلام قوالب جديدة تناسب الوسيط.. ورق مطبوع، موجات راديو، بث تلفزيوني، مواقع إلكترونية، وسائل تواصل اجتماعي.. إلخ. ليس القصد في وضع الترتيب بهذا الشكل مجاراة تصوّر داروينيي يجعل البقاء للأصلح ويقتل ديناصور الصحافة الورقية أو التلفزيونية، لكن خط الزمن سار هكذا. الصلة بين استعارة الوسيط والقالب الإعلامي ومقاربته بالترتيب التطوري، هي حالة الطبيعة الإعلامية والصحفية في استغلال الوسائط المختلفة والقدرة المرنة على التكيف معها. ومحرك هذا التكيّف هو الإرادة الإعلامية.

لا يمكن اعتبار كل تطور تقني في حد ذاته اختراعاً استهلاكياً، وبالتالي فالإعلام الرقمي هو الآخر ليس بالضرورة استهلاكياً يخدم ما يطلبه الجمهور، بل تبقى الوسائط الذكية أداة يمكن استعمالها لإيصال رسائل صحفية رصينة أو الاكتفاء بنشر الرائج (Trends).

حالة الإعلام الرقمي تعبّر عن حقيقة "استهلاك" الجمهور لنوع من القوالب الإعلامية عبر وسائط محددة استهدفتها الإرادة الإعلامية للوصول إلى هذا الكم الهائل من "المستهلكين". من هم هؤلاء المستهلكون؟ ملايين الملايين من البشر أغلبهم في سن الشباب، بعضهم مقتنع بأن بقاءه لمدة أطول داخل هذا الوسيط يحقق نوعاً من الإشباع لحاجة ما، والبعض الآخر يزور الوسيط كي لا ينقطع عن هؤلاء الملايين.

ومن هي الإرادة الإعلامية؟ ببساطة: هي ثنائي رؤوس الأموال والإرادة السياسية. فلا تخلو أي صحافة أو إعلام من هذين الجانبين، فهما المحرك الأساسي لتطور الإعلام وتوجيهه وصنع أبعاد جديدة له. لذلك، قضى فقدان رؤوس الأموال الإعلانية على العديد من محاولات صحافة الإبطاء، وفي المقابل استطاعت الإرادة السياسية دعم بعضها. لذلك والصحافة والصحفيون رهائن لتلك الإرادة الإعلامية، وليسوا رهائن لطبيعة معينة من الصحافة سواء أكانت آنية أو بطيئة.

الإعلام الرقمي على الطرف المقابل للإعلام الورقي والتلفزيوني، يستطيع أن يمنح الصحافة المتأنية منصات واسعة، من شأنها الوصول إلى الجمهور المقصود باستهداف مخطط لخلق حلقة الوصل بين الحاجة والإمداد. في هذا الصدد، يبدو الإعلام الرقمي طريقة منخفضة التكلفة لتحقيق الانتشار وتوسيعه وترويج فكرة صحافة المقالات التحقيقية الطويلة التي أصبحت بالفعل تلقى قبولاً من الجماهير.

هنا يتجلى مجدداً دور الإرادة الإعلامية، فحتى وإن كان الإعلام الرقمي يوفر تلك المنصة والانتشار، فإنه لا يمكنه أن يوفر الأمان المالي لصحفيين ومؤسسات يريدون أن يعملوا على نشر الصحافة المتأنية، عبر صرف الكثير من الوقت والجهد والمال الضروري ليس فقط لصنع هذا النوع من الصحافة، بل لوضعها في قالب ملائم للنشر ومحفّز للانتشار.

المميز في الإعلام الرقمي -الذي ربما لا يتوافر في أي نوع آخر في تاريخ الصحافة- هو القدرة على إتاحة مستويات مختلفة من العمق والتفريعات داخل كل موضوع صحفي، وتنظيم تلك المستويات وسهولة الانتقال بينها والعودة إليها والبحث من خلالها وإعادة ترتيبها وتقييمها واستعمالها بصورتها الخام في صنع موضوعات صحفية أخرى.

أين الصحافة الآنية؟

يشير العديد من دعاة الصحافة المتأنية إلى نوع الصحافة الذي لا يفضلونه عبر الإشارة إلى: الصحافة العاجلة غير الصحيحة، أو الصحافة التي توهم الجمهور بشيء مخالف للحقيقة، أو الصحافة التي لا تعطي سياقاً يشرح أهمية الخبر للجمهور وتأثيره عليهم، أو الصحافة التي لا تعود لمتابعة قصصها القديمة. العامل المشترك بين العيوب الأربعة السابقة التي تخالف مفهوم الصحافة المتأنية هو التسرع للوصول إلى النتائج دون انتظار اكتمال الحدث قبل الإخبار عنه.
إذا أردنا تحديد موقع الصحافة

الآنية داخل مساحة يُحتمل فيها قبول المستويات المختلفة من العمق والتفريعات الصحفية، فيجب أن نتقبل حقيقة الإعلام الرقمي.. إنه المساحة الوحيدة التي يمكن خلالها للصحافة المتأنية أن تزدهر بجانب الصحافة الآنية، وهذا يتحقق من جانبين: الأول أن الصحافة الآنية يجب ألا تتسم بالعيوب الأربعة السابقة؛ فيمكنها ألا تنقل العواجل إلا بعد تدقيق وتمحيص، وتُصاغ بصورة لا توهم الجمهور، ويجب أن تكون جزءاً من صحافة أوسع تعطي سياقاً لفهم الحدث، ويمكن أن تعود إلى ما نقلت لمتابعته والوقوف على تطوراته.

الجانب الثاني، أن الصحافة الآنية التي تستغل مساحات الإعلام الرقمي بذكاء وكفاءة، هي التي تخلق الحاجة والعطش لدى الجمهور لفهم المزيد والسعي للتحقق من تفاصيل الآنيات لفهمها. نسبة كبيرة من الجمهور لن تلتفت إلى عمق وتفاصيل حدث ما إن لم تعلم به بصورة آنية توضح أهميته وتأثيره عليها.

عدة محاولات صحفية رأيناها تقوم على هذا المبدأ، أغلبها يبدأ بالصحافة الآنية ويطمح إلى تحقيق المزيد من التأني والمتابعة، لكن القليل يحقق ذلك.

محاولات الإعلام الرقمي لشبكة الجزيرة أجدها مثالاً جيداً للتكامل لتحقيق مستويات العمق المختلفة، إذ تقدم "الجزيرة بلس" صحافة آنية عالية الجودة والتدقيق من خلال مقاطعها اليومية، وتتناول الرائج على مواقع التواصل بإعطاء خلفيات سريعة تساعد على فهم سياقه. وعبر مقاطع دورية تقف "الجزيرة بلس" على بعض السياقات لتشرحها بتفصيل أعمق لفهم الخبر الآني، مستعينة بالخبرات الصحفية ومبادئ غرفة الأخبار الأساسية. كما تقدم رؤى متنوعة للقضايا السياسية والعلمية والاجتماعية عبر برامجها المختلفة.

الطويلة التفصيلية التي تغطي السياقات الأوسع والشروحات التي من شأنها الإجابة على عدة أسئلة تطرحها الأخبار اليومية. أما المدونات فتحاول طرح وجهات النظر المختلفة حول الأنباء السريعة وحول سياقاتها لتظهر وجهات النظر الشخصية المختلفة عن ذات الموضوع أو الخبر.

الجزيرة نت هي المظلة الواسعة التي تسعى دوماً لتحقيق هذا التوازن بين المستويات المختلفة، وتضم تاريخاً رقمياً عريقاً لمنتجات الشبكة المختلفة، وتتيح عبر موسوعتها شروحاً لقضايا سياسية واقتصادية وغيرها. محاولات الجزيرة المتكاملة تمثل ما يمكن للإرادة الإعلامية تحقيقه عبر الفضاء الرقمي، لتقديم منتجات مختلفة تخدم بعضها وتسهل الوصول إلى كمية من المعلومات والتفاصيل التي لا تجعل الجمهور حبيس الأخبار الآنية، ولا تجعل الصحافة رهينة لتفضيل جمهور معين.

استطاعت منصات الإعلام الرقمية توظيف التقنيات الصحفية الجديدة بشكل جعل الجمهور يندمج بشكل أكبر مع القصص الإخبارية. الصورة من ورشة تدريبية في جوبا جنوب السودان حول تقنيات الواقع الافتراضي 360 درجة قدمها فريق Contrast VR – الجزيرة.

الأرنب داخل القبعة

غدير أبو سنينة

«القصة بحاجة إلى وقت كي تتطور، والوقت مهم للسماح للأطراف المتضادة بالرد، وهو مهمٌ أيضا لإعادة قراءة قصة وردت في دورة أخبار الـ24/7 ثم سقطت حين كان على الكاميرا التحرك لتصوير قصة أخرى في مكان مختلف».

يظهر الأرنب الأبيض مسرعا، قلقا، خشية تأخره عن الموعد المحدد.. يحمل ساعة تشير إلى أهمية الوقت لديه، لا يكاد يتوقف حتى يتابع سيره.. الأرنبُ بطلٌ في "أليس في بلاد العجائب".. العجائب التي سكنّا جميعا في بلادها وباتت السرعة والجري ديدنها.

بيد أن أرنب "أليس" العجيب كان مسؤولا رغم سرعته.. السرعة.. هذه الكلمة التي ترأست نشرات الأخبار في الصحافة متحولة إلى كلمة أكثر خصوصية، واكتسبت صفة "العاجل" ومزاجه. تأتي سلحفاة في حكاية أخرى وتنافسه.. الجميع يعلم أنها ستفوز، لكن القليل يعتقد أن بإمكانه المضي في مساره على مهل، ويضمن الفوز.

هكذا، نبدأ حكاية الصحافة المتأنية.. احتوى العدد الأول من مجلة "الصحافة" على تقرير مترجم عن مجلة "نيمان ريبورتس" حمل عنوان "The Value of Slow Journalism in the Age of Instant Information"، وقد تُرجم مصطلح "Slow Journalism" إلى "الصحافة البطيئة"، لكن بعد إعادة النظر في المصطلح والتشاور بين لغويين وصحفيين، خَلُصَ فريق المجلة إلى مصطلح "الصحافة المتأنية"، على اعتبار أن الوقت ليس هو العامل الوحيد المطلوب لتحقيق شروط هذا النوع من العمل الصحفي، بل التروي والتمهل، وكلها مترادفات تدل على "التأني".

فهم العالم

نشرت صحيفة "الغارديان" تقريرا (1) يوم 12 يناير/كانون الثاني 2017، يتحدث عن إعلان شبكة "بي.بي.سي" تجديد سياستها التحريرية في الاجتماع الصباحي. ويتحدث التقرير عن رغبة البي.بي.سي في صنع المزيد من الأخبار البطيئة، عبر التحليل العميق والخبرة لمساعدة الجمهور على الفهم، خصوصا في هذه الفترة المضطربة من تاريخ المملكة المتحدة، كما جاء على لسان مدير قطاع الأخبار السابق في شبكة هيئة الإذاعة البريطانية جيمس هاردينغ.. "نحن بحاجة إلى شرح الأمور التي تقود الأخبار.. بحاجة إلى الأخبار البطيئة، الأخبار الأكثر عمقا، البيانات، التحقيقات، التحليلات والخبرات، لتساعدنا على شرح العالم الذي نعيش فيه".

ترددت عبارة "فهم العالم" مع الصحفي البرتغالي ألفونسو أرمادا، الذي عمل سابقا في صحيفة "إلباييس" الإسبانية ومراسلا لصحيفة "أي.بي.سي" في نيويورك، كما عمل مراسلا في أفريقيا، وغطى حصار سراييفو. أسس أرمادا مع مجموعة من زملائه مجلة " فرونتيرا دي" (Frontera D)، وهي مجلة متخصصة في التقارير المعمقة.

شرح أرمادا في مكالمة هاتفية أجريتها معه، فكرة تأسيس الصحيفة منذ 9 سنوات، حيث اجتمع مع مجموعة من زملائه الصحفيين الإسبان أثناء إقامته في نيويورك، واتفقوا جميعا على أنه مآل محزن هو مصير الصحافة الإسبانية اليوم. اتفقت المجموعة على ضرورة التحرك وتنفيذ فكرة جديدة، عوضا عن البكاء والتحسر.

وهكذا، أنشؤوا تلك المجلة التي تركز على كتابة قصص عميقة ومعلومات "بطيئة"، مع اتباع منهج صارم للتحقق

تدعو الصحافة المتأنية الصحفيين للذهاب إلى مكان الحدث، العيش مع المتأثرين فيه وجعل صوتهم هو الأعلى في القصة. الصورة للصحفية دينا تكروري (يسار) من +AJ أثناء إعدادها لتقرير حول حياة اللاجئين السوريين العالقين في اليونان - الجزيرة.

من الأخبار. وليضمنوا استمرارها، عملوا على أن تكون المجلة مستقلة، غير حزبية، تجنبوا فيها المواضيع المكررة مثل مشكلة كتالونيا والباسك، إذ يعتقد أرمادا أن للإعلام أجندة صغيرة ومكررة، وهو يعالج المواضيع ذاتها كل مرة.. "لا خيال ولا أهمية تولى للقضايا الأخرى".

يتابع أرمادا حديثه محاولا تفسير ابتعاد الناس عن قراءة الأخبار؛ بأنهم ليسوا على استعداد لقراءة الأخبار ذاتها كل مرة. وينتقد شبكة الإنترنت التي "لها إيجابيات كثيرة، لكنها ساهمت في تسطيح تفكير الناس".. يقول "تجعلنا الإنترنت نشارك الأخبار السطحية وتساهم في انتشارها، وهي [الشبكة] تجيب عن أسئلتنا بشكل لحظي، لكن هدف المجلة هو محاولة شرح أسباب ما يحدث للعالم.. محاولة فهم العالم.. لماذا تنتشر الكراهية وكل هذا التوتر والنزاع؟ الأخبار العاجلة لا تجيب عن أسئلتنا".

الإجابات -بحسب أرمادا- تأتي من الخروج إلى الشارع، من الحديث مع الناس، من منح كل قصة حقها من الوقت والعمل.. "نحن نركض في هذا العالم، نتابع الأخبار والحوادث، هذا يجعلنا نعيش في خوف وحيرة ويجعل العالم غير مفهوم بالنسبة لنا". أما مرجعيتهم في العمل فيقول إنها مجلة "نيويوركر".

تصدر المجلة بنسخة إلكترونية وأخرى مطبوعة، رغم أنها لا تدفع مقابلا للصحفيين العاملين بها.. "كيف تسير الأمور دون مقابل؟" سألته فأجاب: نحن لا نطلب عملا حصريا، نقرأ التقارير وحين نجد تقريرا ذا أهمية، نطلب من الكاتب أن يرسل تقريرا موسعا حول الموضوع. لا تسمح الصحف دوما بنشر كل التفاصيل بسبب التزامها بعدد كلمات معين أو اهتمامها بزاوية محددة. نحن نمنح الصحفيين مكانا لنشر ما لم يتمكنوا من نشره في صحفهم، كما أن التحرير المتقن والعمل الجاد في المجلة والرصانة التي تتمتع بها، تجذب كثيرا من الصحفيين الجادين إليها.

مع هذا -يقول أرمادا- إن عائدا ماديا بدأ يدخل المجلة عبر نشرهم كتبا، فسوق الكتب رائجة في إسبانيا أكثر من المجلات. وقد توسع فريق المجلة في العمل حتى باتوا ينشرون تقارير مختلفة من دول أميركا اللاتينية بالتعاون مع مجلات تعمل بالنهج ذاته. وخلال 9 سنوات، شارك في الكتابة بالمجلة 1400 كاتب، حيث تنشر المجلة 10 مقالات شهريا، منها مقالات معمّقة في الأدب والسياسة والفلسفة.

تكمن أهمية الصحافة المتأنية في تتبع الأحداث لا الاكتفاء بتغطية نتائجها. في الصورة صحفي يحاول مساعدة أحد المهاجرين خلال عملية إنقاذ لمركبهم قبالة السواحل الليبية في البحر المتوسط. تصوير: زهرة بن سمرة - رويترز.

تجارب دون مسمّيات

استغربت غراسيلا موشكوفسكي الصحفية الأرجنتينية وأستاذة الصحافة بجامعة مدينة نيويورك، سؤالي لها عن الصحافة المتأنية. كان اسم المجلة التي شاركت في تحريرها حتى عام 2014 (El Puercoespín)، واردا في دراسة (2) عن الصحافة المتأنية، بما يعني أن المواضيع التي كانت تطرح وطريقة معالجتها كانت تنتهج أسلوب الصحافة المعمق، المتأني، لكن دون منح وصفٍ أو اسم لذلك العمل. ينطبق هذا على الكثير من التجارب التي التزمت بآلية العمل تلك، على اعتبار أن الصحافة الحقيقية رديف للصحافة المعمقة.. تعددت الأسماء والنهج واحد. توجّهتُ إلى أليخاندرو بارنكيرو، كاتب الدراسة التي ورد فيها اسم المجلة التي حررتها غراسيلا، لكنها توقفت عن الصدور لمواجهتها الكثير من العقبات التي لم تكن بحاجة إلى شرحها. بارنكيرو الباحث بجامعة كارلوس الثالث في مدريد، قال إن الصحافة المتأنية تقوم على نقد وتفكيك الوقت مقارنة مع ما تنتجه الصحافة وما توزعه وما تستهلكه في زمن السرعة والرأسمالية التوربينية (3) (أوجد هذا المصطلح إدوارد لوتووك، حيث تبلغ الخدمات والأخبار ورأس المال وقوى العمل درجة جديدة من التنقل والتسارع)، ولها (الصحافة المتأنية) بعدُ زماني، وهي ظاهرة برزت في السنوات الأخيرة في حقل دراسات الصحافة والاتصال.

وبالنسبة له، فالكثير من ظواهر الصحافة الاستقصائية الحالية تُعتبر ضمن الصحافة المتأنية، بالنظر إلى الوقت الذي تستغرقه هذه التحقيقات، والإعداد الجيد، إضافة إلى رغبة معدّي التقارير المتأنية في التوجه نحو قارئ يتذوق المعلومات ببطء. ويضم بارنكيرو الصحافة السردية والقصص الصحفية الطويلة المبنية على أسس الأدب وتقنيات السرد الحديث، إلى الصحافة المتأنية، مفسّرا المعايير التي اتخذها في ذكر قوائم المجلات والمواقع التي تعمل بنهج الصحافة المتأنية.

حين تسقط القصة، تلتقطها الصحافة المتأنية

يعتقد مسؤول المحتوى والمراسل الاستقصائي لموقع "كونتنت كوز" (Contentcows)، أن مصطلح "الصحافة المتأنية" جديد، مستمد من حركة الغذاء البطيئة التي جاءت كردة فعل على تسارع أساليب الحياة المعاصرة والدورة الإخبارية 7/24. وفي حديثه عن معايير الصحافة المتأنية، يذهب نيكرك إلى الدقة والنزاهة والإنصاف وذكر السياق، وهي أمور يقول "إنها تعاني اليوم" أمام تشجيع وكالات الأنباء ومنصات وسائل الإعلام الاجتماعي لفكرة أن تكون "الأول" في سرد القصص.. "تركز الصحافة المتأنية على أن تكون القصص دقيقة وصحيحة وثابتة أمام التحقق. ويعتقد أنصار هذا النوع من الصحافة أنه أكثر إرضاء واستدامة وذكاء". الصحافة المتأنية قد تكون في أي جنس صحفي وعلى أي منصة، لا يهم، المهم -حسب قوله- "أن تحتوي على جميع الحقائق، وأن تكون الحقائق مدققة، وأن تظهر الآراء المعارضة، وأن تكون سليمة من الناحية القانونية، وأن تمنح الوقت الكافي لجميع الأطراف للرد"، فهو يرى أن "الحقائق والإنصاف والنزاهة تتفوق على مواعيد التسليم في الصحافة المتأنية".

تبدأ الصحافة المتأنية -برأي نيكرك- حينما تفقد قصة كبيرةُ الاهتمامَ في مؤسسات الأخبار، إذ يتوجب على مؤيدي هذه الصحافة المتأنية حينها، إعادة إنتاج تلك القصة. كما تكون أمام الصحفيين المتأنّين فرصة للقيام بعملهم حينما تهمل مؤسسات الأخبار قصصا مهمة بسبب "هوسها" بما أطلق عليه نيكرك "زغب المشاهير".

وفي تعليقه على عنصر الوقت، يقول إن مفهوم الصحافة المتأنية يشير في الوهلة الأولى إلى الوقت.. "وهذا صحيح، لكنه يتجاوز مجرد قضاء سنة في كتابة قصة، فالبطء عنصر مهم في ذلك السياق". ويشرح نيكرك ذلك بقوله "إن القصة بحاجة إلى وقت كي تتطور، وإن الوقت مهم للسماح للأطراف المتضادة بالرد، وهو مهمٌّ أيضا لإعادة قراءة قصة وردت في دورة أخبار الـ7/24 ثم سقطت حين كان على الكاميرا التحرك لتصوير قصة أخرى في مكان مختلف".

عمل كثير ينتظر مؤيدي الصحافة المتأنية، على رأسه الإيمان بجدوى ما يفعلونه، فقد يتمكّنون في النهاية من السيطرة على الأرنب الأبيض داخل القبعة وإخراجه في الوقت المناسب، مدهشين بنتائجهم كل الجماهير.

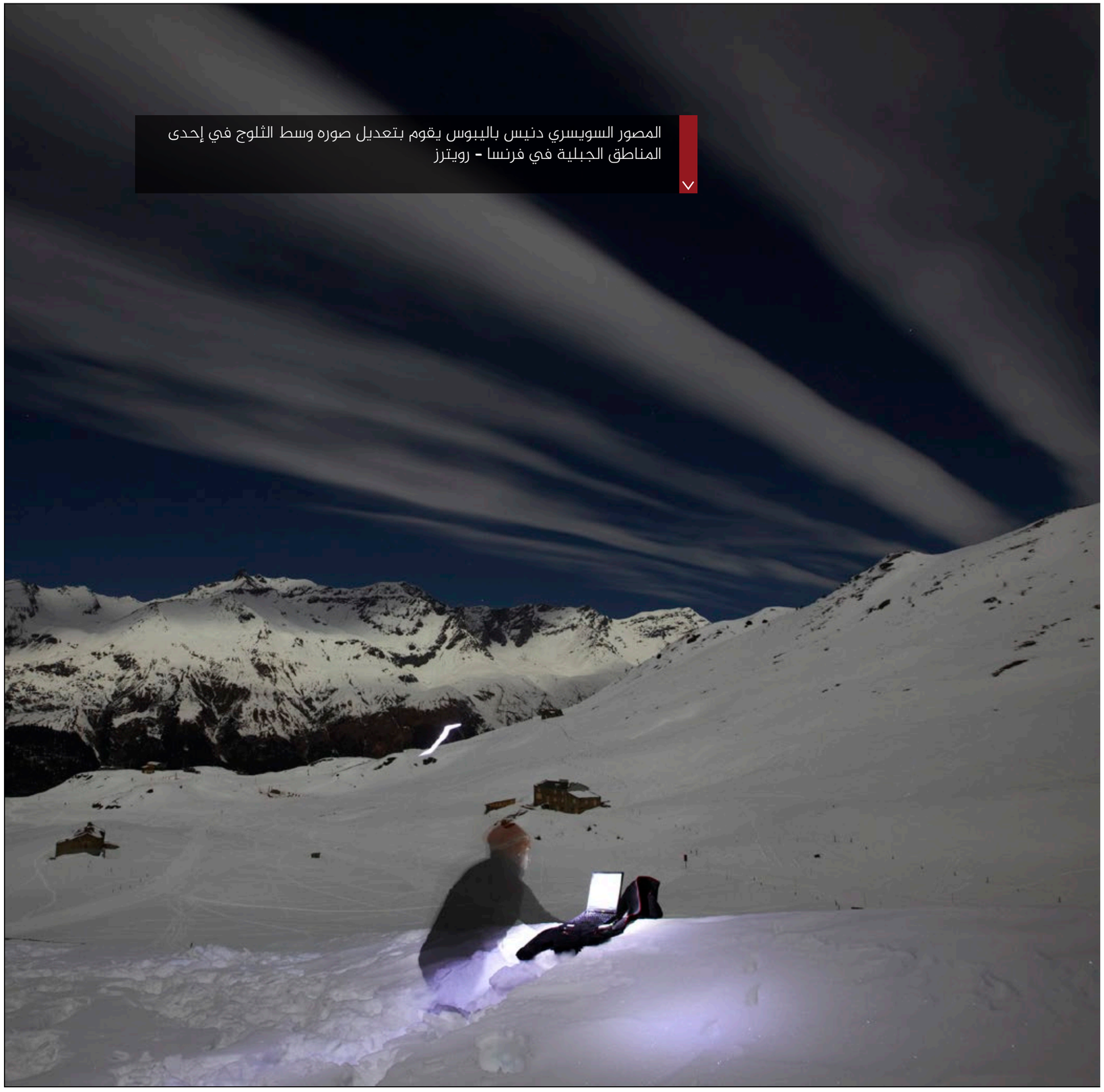

المصور السويسري دنيس باليبوس يقوم بتعديل صوره وسط الثلوج في إحدى المناطق الجبلية في فرنسا - رويترز

الصحافة المتأنية في عصر شبكات التواصل: ما إمكانيات نجاحها؟

لحسن سكور وأمنية الرايس

أفضل الطرق للوصول إلى جمهور أوسع وتعزيز التفاعل؛ هي إنتاج محتوى قابل للمشاركة على مواقع التواصل الاجتماعي؛ فقد أثبت المحتوى الطويل جدارته وتفوقه على المحتوى القصير والسريع.

عندما ظهر التلفزيون في خمسينيات القرن الماضي، تكهّن العديد من الخبراء في الإعلام بأن مستقبل الصحف الورقية والراديو بات مجهولاً. الأمر ذاته وقع مع ظهور الإنترنت وتقنياته الحديثة مطلع القرن 21، حيث ظن كثيرون أن وظيفة ودور وسائل الإعلام الجماهيرية (الصحف، الراديو، التلفاز) قد انتهت(1). غير أن واقع الحال كذب كل التوقعات؛ ورغم أن وسائل التواصل الاجتماعي قد ساهمت سواء في تزايد وتيرة نشر الخبر ومشاركته أو تغيير عادات القراءة لدى الجمهور، إلا أن الحاسم في بقاء وسيطرة أي من هذه الوسائل ظل دائماً مرتبطاً بجودة واحترافية المحتوى(2).

وهكذا، فلم يتوقف النقاش الأكاديمي حول سؤال "من سيقضي على من؟" في سياق صراع وسائل الإعلام في ما بينها من أجل كسب معركة البقاء. وقد لحق هذا النقاش أيضاً بالصحافة المتأنية التي سجلت عودة قوية إلى الساحة الإعلامية.

وتركز النقاش حول فرص نجاح هذا النمط الجديد من الصحافة في ظل سيطرة وسائل التواصل الاجتماعي، نستعرض في هذا التقرير بعض المعطيات ونتائج الأبحاث حول مدى إمكانية صمود الصحافة المتأنية في خضم مجموعة من التحديات.
المقالات الطويلة تنال قسطاً كبيراً من المشاركات (Share): أثبتت دراسة أعدتها إحدى شركات تحليل محتوى الويب (SERPIQ) أن المواد الصحفية الطويلة التي يتجاوز عدد كلماتها 2000 كلمة تنال قسطاً كبيراً من المشاركات وإعادة النشر على مواقع التواصل الاجتماعي(3).

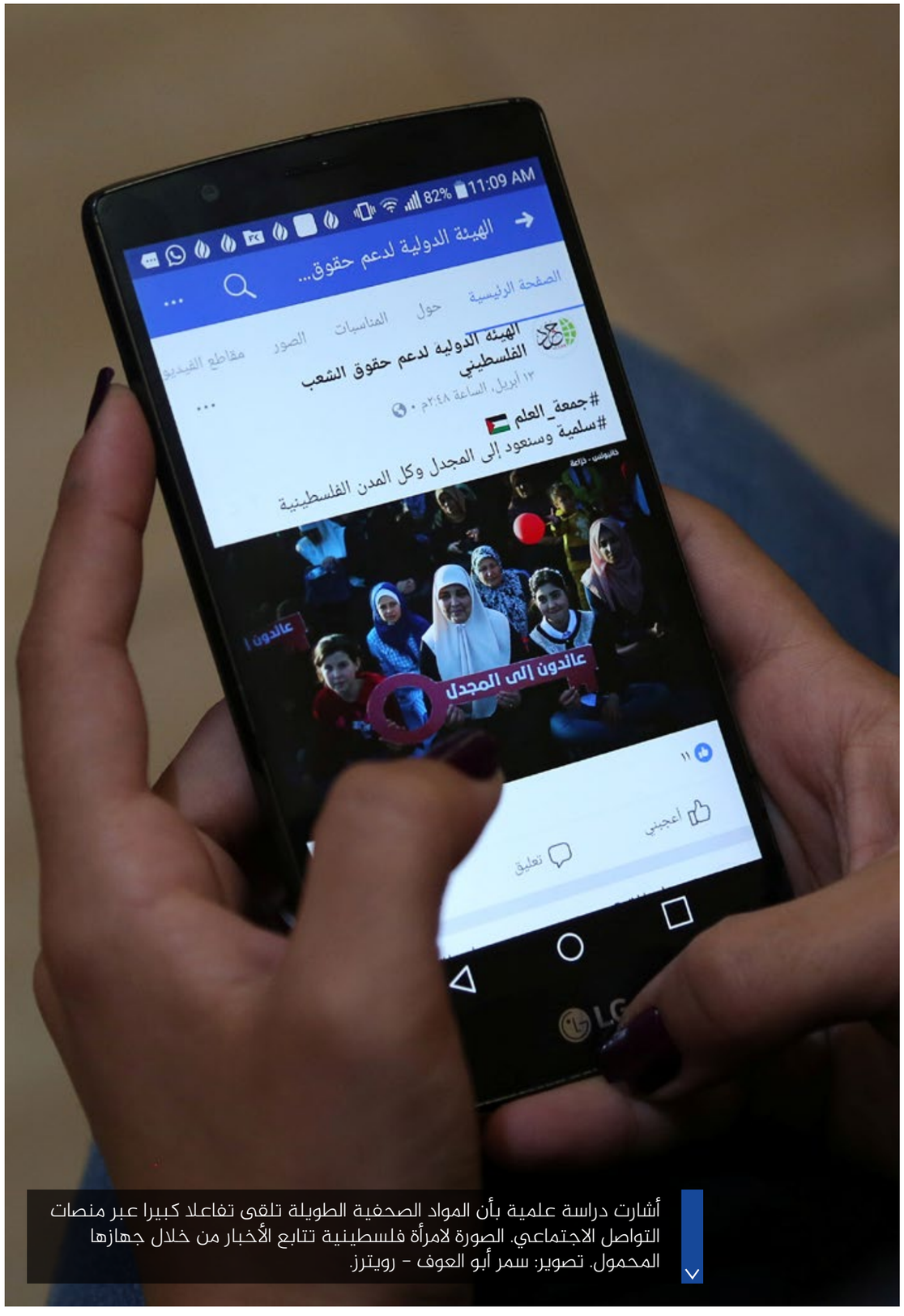

أشارت دراسة علمية بأن المواد الصحفية الطويلة تلقى تفاعلا كبيرا عبر منصات التواصل الاجتماعي. الصورة لامرأة فلسطينية تتابع الأخبار من خلال جهازها المحمول. تصوير: سمر أبو العوف - رويترز.

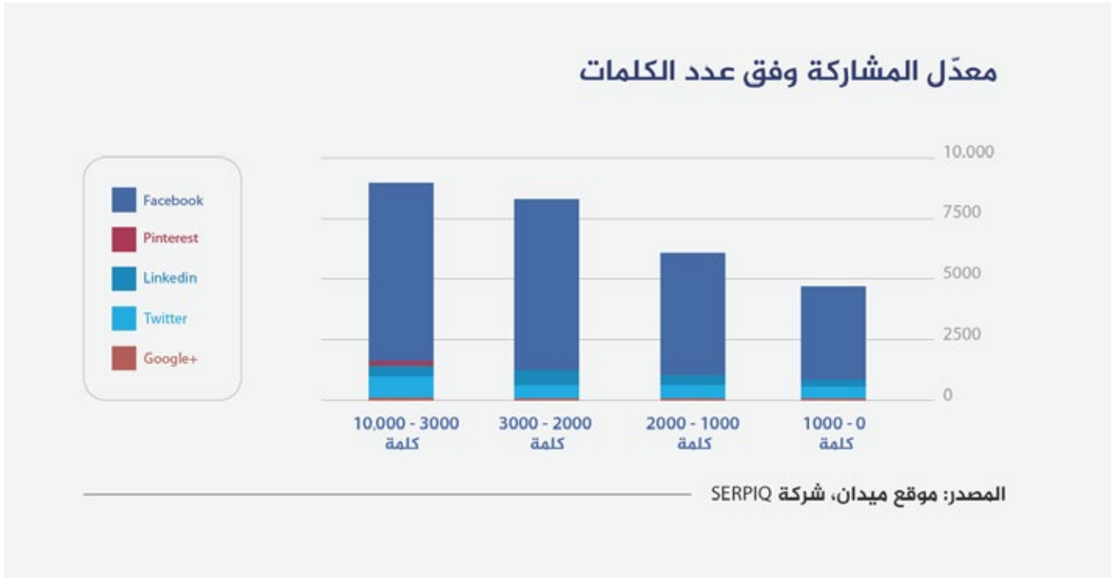

وتعكس هذه النتائج اتجاهاً جديداً لدى الجمهور مخالف تماماً لما هو معهود ومتفق عليه. فالجمهور، وبسبب كمية المحتويات الإعلامية القصيرة والمفصولة عن سياقها التي يتعرض لها يومياً في مواقع التواصل الاجتماعي؛ أصبح يدرك قيمة المنتج الإعلامي المتأني ولا يكتفي فقط بقراءته أو استهلاكه، بل يقترحه أو يشاركه مع أصدقائه الافتراضيين على منصات التواصل الاجتماعي.

المقالات الطويلة صديقة لمحركات البحث (SEO):

توصلت الدراسة نفسها التي أنجزتها شركة SERPIQ عام 2012، بالاعتماد على تحليل 20 ألف كلمة مفتاحية، أنه كلما كان المقال طويلاً، كلما ارتفعت فرص ظهوره في النتائج الأولى

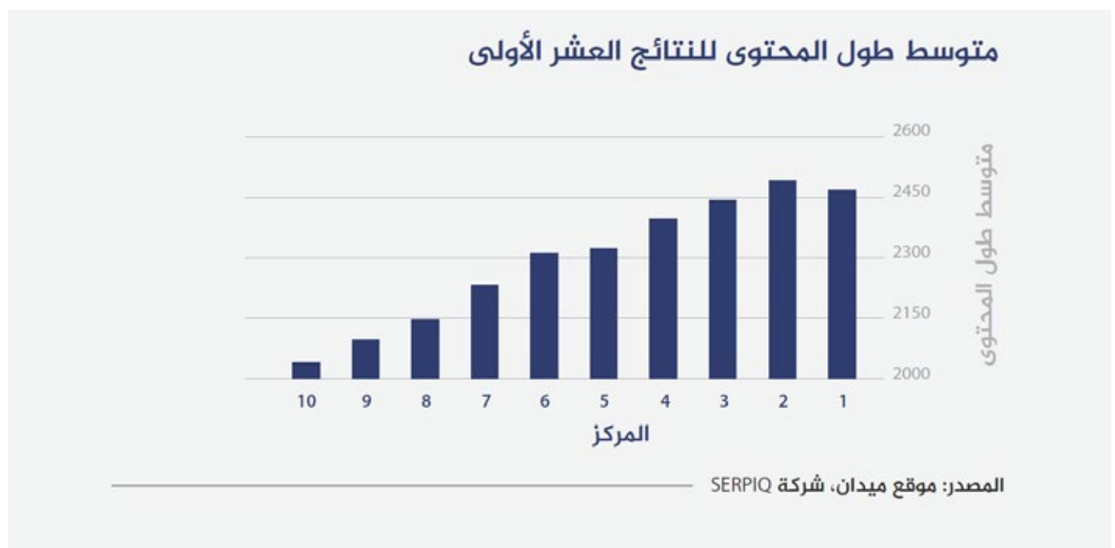

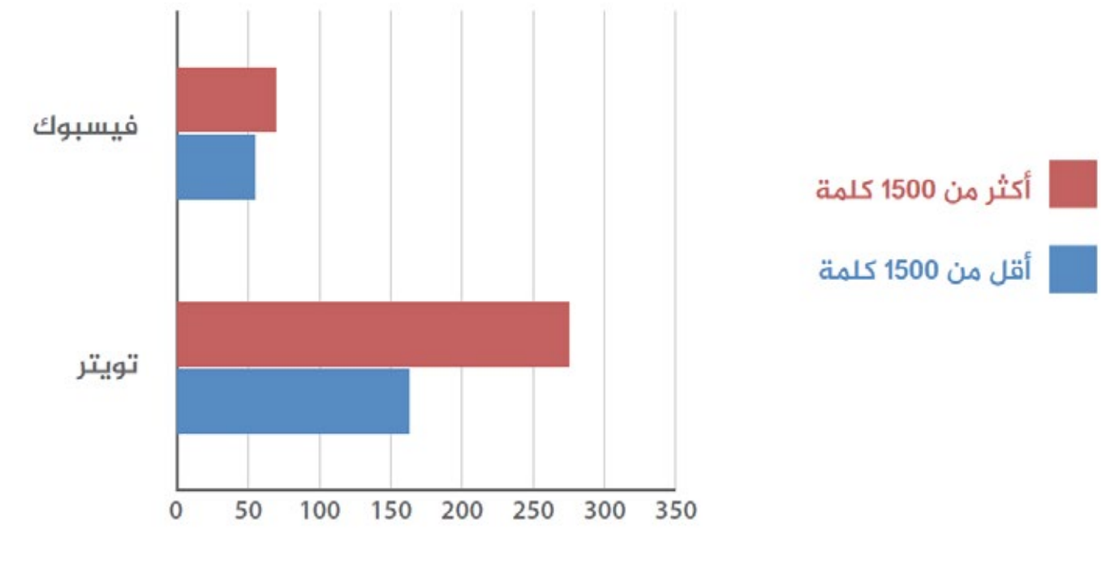

في محركات البحث العالمية. وتشير الدراسة إلى أن معدل كلمات المقالات العشر الأولى التي تظهر في محرك البحث هو ما يتجاوز 2000 كلمة(4).

باتت فكرة أن المقالات الطويلة تحقق ظهوراً أوسع في محركات البحث تلقى قبولاً كبيراً حتى من طرف شركة غوغل التي تدرس إمكانية تعديل خوارزمياتها لتدعم فكرة الأولوية للمقالات الطويلة. هذا ما اعترف به عضو الفريق التقني لمحرك البحث الشهير، حيث قال "يلجأ مستخدمو غوغل إلى محرك البحث للإجابة عن أسئلة سريعة، غير أن دراسة تشير إلى أن 10٪ من المستخدمين الباحثين عن المعلومات يريدون فهم موضوعات بشكل موسع، لهذا نقوم في الوقت الحالي بإجراء بحث بهدف مساعدة المستخدمين على الوصول لمقالات معمقة"(5).

المقالات الطويلة تحظى بتفاعل أكبر (Interaction): من أفضل الطرق للوصول إلى جمهور أوسع وتعزيز التفاعل هي إنتاج محتوى قابل للمشاركة على مواقع التواصل الاجتماعي. وقد أثبت المحتوى الطويل جدارته وتفوقه على المحتوى القصير والسريع؛ ذلك ما توصلت إليه دراسة تجريبية أجراها نيل باتل (Patel Neil)، المتخصص في تحليل محركات البحث، والتي خلصت إلى أن 327 من المقالات التي كتبها على مدونته (Sprout Quick)، والتي تتكون من أقل من 1500 كلمة حصلت على معدل إعادة تغريد بلغ 174 مرة في تويتر، و59 إعجابا على فيسبوك. في حين نالت المقالات التي يتجاوز عدد كلماتها 1500 معدل تفاعل مرتفع وصل إلى 293 تغريدة على تويتر و75 إعجابا على فيسبوك(6).

وتبرز هذه المعطيات اتجاهات جديدة في عالم الصحافة؛ إذ أنها تعاكس ما يعتقده معظم الناس أن الجمهور يفضل محتوى قصير ومختصر.

تحديات الصحافة المتأنية

وعلى الرغم من أن الصحافة المتأنية بدأت تحظى بإقبال متزايد من طرف الجمهور الذي أبدى تفاعله مع المحتويات الطويلة والمتأنية والتحليلية، كما أظهرت الدراسات السابقة، إلا أن الصحافة المتأنية مازلت تواجه تحديات كثيرة متعلقة بكل من الجانب المالي والزمني والتنافسي.

التمويل:

إن الاستثمار في مجال الصحافة بشكل عام يعد مخاطرة في الآونة الأخيرة، حيث تعرضت مجموعة من النماذج الاقتصادية لوسائل الإعلام للانهيار بسبب تغيرات كبيرة وقعت على سوق الإعلانات ودخول فاعلين جدد دوليين كشركة غوغل؛ و هو ما ألحق أضراراً بالغة بالمؤسسات الإعلامية التقليدية(7). يضاف إلى ذلك نفور المستثمرين من المشاريع الإعلامية المستقلة عن السلطة والجادة في تعاطيها مع القضايا السياسية لما قد يسببه ذلك لهم من مشاكل مع أجهزة الحكم(8). في هذا السياق، يمكن القول إن أحد أكبر التحديات التي من الممكن أن تحد من انتشار الصحافة المتأنية وازدهار مشاريعها هو التمويل، هذا دون إغفال التكلفة العالية للمحتوى الإعلامي المتأني؛ إذ تحتاج المؤسسة الإعلامية إلى توظيف أحسن الكفاءات الصحفية بحكم أن هذا النمط الصحفي يتطلب موارد بشرية مؤهلة بشكل جيد ومتمرسة على العمل الصحفي الذي يمكن أن يستغرق وقتاً طويلا لإنجاز مادة مفصلة واحدة.

الآنية وإكراهات السبق الصحفي:

كما تمت الإشارة سابقاً، تبرز السرعة والآنية كإحدى المرتكزات الأساسية للعمل الصحفي حتى قبل ظهور مواقع التواصل الاجتماعي. وبناء عليه، يعتبر عامل السبق الصحفي من العوامل التي تشكل تحدياً كبيراً أمام الصحافة بشكل عام(9) والصحافة المتأنية بشكل خاص؛ إذ إن هذا النوع من الصحافة يعتمد على البطء والتأني في نشر الأخبار حيث يوظف الوقت الإضافي الذي يحظى به المحرر في البحث والتنقيب في الخبر وخلفياته(10). إلا أن امتياز الوقت الإضافي قد يأتي على حساب السبق الصحفي في بيئة إعلامية سمتها الأساسية هي المنافسة الشديدة بين المؤسسات الإعلامية حول من ينقل الخبر أولا(11). وبالتالي، يعتبر عنصر السرعة والآنية في نقل الخبر من الإكراهات التي تواجه الصحافة المتأنية اليوم، خصوصاً في زمن انتشار مواقع التواصل الاجتماعي.

المنافسة:

قد ينظر إلى الصحافة المتأنية على أنها مكمل لخدمات الأخبار العاجلة بل وتصحيحا لها في بعض الأحيان. إلا أن المنافسة من أجل كسب معركة الوجود والبقاء تبقى قائمة بينهما(12). لكن ومع ذلك فإن مستقبل الصحافة المتأنية يبقى غير واضح في الوقت الراهن على الأقل. وذلك راجع إلى سطوة مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيراتها الممتدة على مناحي حياة الفرد ومساهمتها البارزة في تغيير أنماط القراءة واستهلاك المحتوى الإعلامي. فبينما يرى الداعمون لفكرة أن مستقبل الإعلام وصناعة الأخبار ستحدده بشكل حصري شبكات التواصل بفعل ميزاتها المتمثلة في السرعة والآنية والتفاعلية، فإن هناك من يؤمن بأنه "لو تابعنا الأخبار يومياً في عصر الحمولة الإعلامية الزائدة، الذي تنهال فيه علينا الكثير من المعلومات بسرعة، فسنحصل على المستجدات، لكننا لن نحصل على الحقيقة الكاملة عن أسباب التطورات". وفي ظل بيئة إعلامية شديدة المنافسة ومتعددة المصادر يصعب فيها ضبط مزاج الجمهور، فإن مسيرة الصحافة المتأنية قد لا تكون يسيرة. ختاماً، تبدو الصحافة المتأنية مطلباً ملحاً في الوقت الراهن حيث نعيش في زمن ما بعد الحقيقة الموسوم بانتشار الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة وثقافة التبسيط والتسطيح الناتجة عن السرعة. ولعل عودة الصحافة المتأنية قد يعيد للعمل الإعلامي قيمته وجدواه. وفيما تدعم الدراسات والبيانات التي استعرضناها في سياق هذا التقرير فرضية أن الصحافة المتأنية تجد قبولاً ملحوظاً لدى الجمهور، إلا أنه ومع ذلك يبقى مستقبل هذا النمط الجديد من الإعلام مجهولاً.

المراجع:

1- Newman, Nic. "The rise of social media and its impact on mainstream journalism." (2009).

2- Tandoc Jr, Edson C., and Tim P. Vos. "The journalist is marketing the news: Social media in the gatekeeping process." Journalism Practice 10, no. 8 (2016): 950-966.

3- فرح عصام، "صحافة النمط الطويل: هل ترسم مستقبل الإعلام القديم"، موقع ميدان، تاريخ الزيارة 4 ديسمبر 2018، الرابط: https://bit.ly/2yDkabe

4- John E Lincoln, The SEO and User Science Behind Long-Form Content, Search Engine Land, 2015 (Retrieved from https://selnd.com/2QiqLCR, Visited on 9 December 2018)

5- Ibid

6- Neil Patel, How Content Length Affects Rankings and Conversions, Quick Sprout, 2012. Retrieved from https://bit.ly/1Tw6rrR

7- Kaye, Jeff, and Stephen Quinn. Funding journalism in the digital age: Business models, strategies, issues and trends. Peter Lang, 2010.

8- أحمد الزاهراني، "السلطة السياسية والإعلام في الوطن العربي"، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، مارس 2015).

9- Lee, Angela Min-Chia. "How fast is too fast?: examining the impact of speed-driven journalism on news production and audience reception." PhD diss., 2014.

10- Le Masurier, Megan. "What is slow journalism?." Journalism Practice 9, no. 2 (2015): 138- 152.

11- Cohen, Elisia L. "Online journalism as market-driven journalism." Journal of Broadcasting & Electronic Media 46, no. 4 (2002): 532-548.

12- Blanding, Michael. "The value of slow journalism in the age of instant information." Nieman Reports 19 (2015).

كيف نستفيد من تطور التواصل الاجتماعي في قصتنا المتأنية؟

محي الدين حسين

غالباً ما أبدأ تقريري بقصة أحد الأبطال، من أجل تقريب الصورة إلى ذهن القارئ، فهو لا يقرأ خبراً صرفاً، بل قصة إنسانية يستطيع أن يتخيل نفسه بطلها ويشعر بما يشعر به بطل القصة الحقيقي. قد يتساءل المرء: «بطل؟ هل هذه رواية؟».. نعم، إنها الصحافة المتأنية.

الصحفي الألماني غريغوري ريشترس يجلس في حافلته الملونة في مدينة كولونيا الألمانية ويتحدث مع أحد المارة حول حملته للتضامن مع اللاجئين. تصوير: أيوب الريمي.

في عصر تدفق المعلومات عبر الوسائط المتعددة، أصبح الشغل الشاغل لكثير من الصحفيين هو سرعة نشر المعلومة، مما قد يؤثر على دقة نقل الصورة العامة بكل تفاصيلها. فكيف نتمهل في وقت يركض فيه آخرون، دون أن يؤثر هذا التأني على جاذبية القصة؟

مشياً على الأقدام لرواية قصص اللاجئين

يقطع صانع الأفلام الألماني غريغوري ريشترس أكثر من ألف كيلومتر من باريس إلى برلين مشياً على الأقدام، من أجل دعوة الحكومات الأوروبية لإحضار ألف طفل لاجئ من أحد أسوأ المخيمات في اليونان إلى ألمانيا.

قصة لم تتناولها العديد من وسائل الإعلام العربية، أو ذكرتها بعضها كخبر قصير. لكنني أعتقد أنها تستحق أن يتأنى الصحفي في سردها، وأن يقف على دوافع هذا الشاب الذي يمشي في هذا الشتاء البارد على مدار نحو أربعين يوماً، في وقت انقلبت فيه سياسة اللجوء في البلاد من الترحيب باللاجئين إلى ترحيلهم.

تواصلت مع الشاب „غريغ" -كما يحب أن يسمي نفسه- والتقيته لأتعرف على قصته عن قرب. أسئلة كثيرة كانت في ذهني عن مبادرته؛ كنت أريد أن أعرف كيف يروج لها بين الناس، ولماذا اختار مخيم موريا في اليونان بالتحديد من أجل الدعوة لإحضار الأطفال منه؟ وكيف يمكنه إيصال صوته إلى المسؤولين ويغير حياة أولئك الأطفال؟ وغيرها الكثير من التفاصيل الأخرى التي لم أجدها في الأخبار التي كتبت عن قصته.

أتمهل بينما يركض الآخرون في الوقت الذي ينشغل فيه بعض الزملاء الصحفيين بالأخبار العاجلة، يتركز عمل آخرين -وأنا منهم- في التفكير بتأثير هذه الأخبار -التي قد تتضمن قرارات هامة- على حياة الناس بشكل عام، والشريحة المستهدفة من الجمهور بشكل خاص. يجري الفريق الصحفي بحثاً مكثفاً عن خلفية الخبر أو القرار، ثم يبحث عن أبطال القصة.

غالباً ما أبدأ تقريري بقصة أحد الأبطال من أجل تقريب الصورة أكثر إلى ذهن القارئ، فهو لا يقرأ خبراً صرفاً، بل قصة إنسانية يستطيع أن يتخيل نفسه بطلها ويشعر بما يشعر به بطل القصة الحقيقي. قد يتساءل المرء: „ماذا؟ بطل؟ هل هذه رواية؟"، وأنا أجيب: „إنها الصحافة المتأنية".

وهو تماماً ما يحتاجه الصحفي لسرد قصة غريغ المقيم في لوكسمبورغ، فمن دون معرفة الظروف السيئة التي يعيشها الأطفال في مخيمات الجزر اليونانية، لا يمكن تصور القصة كاملة.

بدأت القصة عندما علم غريغ من بعض الأصدقاء والمتطوعين بمعاناة الناس في مخيم موريا باليونان.. المخيم الذي يحوي أكثر من ثلاثة أضعاف قدرته الاستيعابية على جزيرة ليسبوس التي ما زال آلاف اللاجئين عالقين فيها منذ شهور أو سنوات، فأصبحت أشبه بمخيم اعتقال.

وبعد الأحداث التي شهدتها مدينة كيمنتس الألمانية من اعتداءات ممنهجة على ذوي الأصول المهاجرة من قبل اليمين المتطرف، طفح الكيل ولم يعد غريغ يستطيع الوقوف مكتوف اليدين كما يقول، ففكر أن يسلط الضوء على معاناة اللاجئين ويحشد الدعم للمهاجرين في نفس الوقت.. „عصفوران بحجر واحد"، فخطرت في باله مبادرته بالمشي من باريس إلى برلين، مروراً بـ 30 مدينة أوروبية.

ومن أجل لفت الأنظار، استأجر حافلة صغيرة ملونة تمشي معه، دون أن يقودها هو بنفسه، ليطلب من الناس في كل مدينة يذهب إليها أن يوقعوا عليها لإظهار دعمهم للاجئين. كما أطلق عريضة إلكترونية يروج لها خلال رحلته، لتكون حجة له أمام المسؤولين.

المهم بالنسبة لي في قصة غريغ وغيرها، هو سبر أغوار ما وراء الخبر، وليس الخبر نفسه، في عصر أصبحت فيه غالبية القنوات تستمد الأخبار الهامة من الوكالات العالمية أو الإقليمية. إذن فاللجوء إلى الصحافة المتأنية ليس لأسباب

إنسانية فحسب، بل لأسباب مهنية تتعلق بالتميز وكسب ثقة الجمهور الذي سرعان ما يتوجه إلى الموقع حالما ينتشر خبر جديد، ليرى إمكانية تأثير ما يتضمنه الخبر عليه.

صحافة متأنية في خضم ثورة التواصل الاجتماعي

إحدى التحديات التي تواجه الصحافة المتأنية في ظل ثورة الإعلام الرقمي؛ هي جذب جمهور تعوّد خلال السنوات الأخيرة على متابعة المحتويات المرئية التي تبسط له الأفكار الرئيسية لمسائل معقدة في فيديوهات لا يتجاوز كلّ منها بضع دقائق. لكن، من قال إنه لا يمكننا الاستفادة من هذه الثورة الرقمية لإغناء تقريرنا „المتأني"؟ ولعل الفيديوهات التي ينجزها موقع „ميدان" في شبكة الجزيرة، أو فيديوهات برنامج السلطة الخامسة على صفحة „DW" على فيسبوك، تثبت ذلك.

يرى رئيس مجتمع „ناشيونال جيوغرافيك" غاري نيل أن النقاش حول الصحافة المتأنية انبثق أصلاً من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك عندما بدأ الكاتب لدى „ناشيونال جيوغرافيك" باول سالوبيك جولته حول العالم، التي تستغرق سبع سنوات بدءاً من إثيوبيا، شارك خلالها القصص التي شاهدها مع العالم عبر تويتر وسكايب والتدوين الإلكتروني.

وفي العام 2016، قال نيل لموقع „إنترناشيونال إنوفيشن": „إنه (باول) ينشئ مختبراً رقمياً لرواية القصص يجمع بين (مرحلة) ما قبل الرحلة والمنظور أثناء الرحلة، من خلال إعداد تقارير حميمية وعصرية على طول الطريق، ملتقطاً الفروق الدقيقة في الحياة العادية التي غالباً ما يتم تجاهلها عند مطاردة عناوين الأخبار اليومية بشكل فوري".

في قصة غريغ مثلاً، يهمني أن أوصل الصورة كاملة إلى الناس من وقت انطلاق الفكرة وحتى أرى نتائجها. لذلك حرصت على إنجاز تقرير وفيديو مخصص لوسائل التواصل الاجتماعي وتقرير مكتوب مدعوم بالصور، بالإضافة إلى إمكانية رصد كل جديد يحصل معه على تويتر. ففي أحد مواقف الرحلة، مدينة هانوفر الألمانية، استغل بعض أنصار اليمين المتطرف نوم غريغ، وكتبوا شعارات ضد اللاجئين على الحافلة. يقول غريغ: „مسحنا تلك الشعارات، لكن حوادث صغيرة كهذه دليل آخر على أن لكل مجتمع مجانينه". تطورات كهذه يمكن تغطيتها عبر وسائل التواصل الاجتماعي مرفقة برابط القصة الأصلية.

صورة كاملة وجذابة وكمثال آخر على تغطية „متأنية" أنجزناها، في موقع „مهاجر نيوز" -الذي أعمل فيه إلى جانب عملي في „DW"- سأتناول تغطيتنا لأوضاع اللاجئين في النمسا.

منذ نهاية العام 2017 والنمسا تحكمها حكومة ائتلافية بين اليمين المحافظ واليمين المتطرف، اللذين استغلا أزمة اللجوء في أوروبا التي بدأت عام 2015 لكسب أصوات „المواطنين القلقين من أن تغرق بلادهم باللاجئين". ومنذ ذلك الحين أصدرت الحكومة النمساوية عدة قرارات مثيرة للجدل تتعلق بتقليص حقوق المهاجرين واللاجئين، منها ربط المساعدات الاجتماعية بالالتزام بتعلم مستوى معين من اللغة، وحرمان طالبي اللجوء من إمكانية القيام بتدريب مهني، بعد أن كانت الحكومة السابقة قد منحتهم ذلك.

بعد أن نُشرت الأخبار المتعلقة بهذه القرارات، وبعد العودة إلى مضمون القرارات بالتفصيل من خلال المواقع النمساوية الرسمية، وصلتُ عبر أصدقاء في النمسا إلى طالبي لجوء ولاجئين تمسهم هذه المواضيع بشكل مباشر، وانطلقت في تقاريري من قصصهم ومخاوفهم من أجل تقريب الصورة للقارئ.

ورغم تناول قصصهم بشكل شخصي في بضعة تقارير، فإنني كنت بحاجة إلى تقريب الصورة أكثر، ليس عبر المقالات المكتوبة فحسب، بل عبر الوسائط المتعددة. وهكذا، توجهت إلى النمسا ضمن فريق، وأجرينا لقاءات مع عشرات اللاجئين وطالبي اللجوء في مدينتين رئيسيتين هما العاصمة فيينا وسالزبورغ. زرنا مقر منظمة العفو الدولية وتحدثنا مع مديرها الإقليمي عن الجو العام في البلاد تجاه اللاجئين، كما حاورنا متخصصين في شؤون اللجوء والاندماج، بالإضافة إلى زيارة إلى الحدود بين النمسا وألمانيا للاطلاع على الوضع هناك، حيث إن الكثير من طالبي اللجوء الذين قابلناهم أبدوا رغبتهم في الانتقال من النمسا إلى ألمانيا بسبب „مرونة سياسة اللجوء فيها"، رغم أن قاعدة دبلن لا تسمح بذلك.

ورغم إجماع الغالبية على صعوبة اندماج اللاجئين في ظل الحكومة الحالية، فإننا لم ننسَ نقل الوجه الآخر أيضاً، وذلك بزيارة عائلات لاجئة اندمجت في المجتمع من خلال تعلم اللغة وإيجاد عمل أو الحصول على مقعد دراسي في وقت قصير.

تسعى الصحافة المتأنية إلى خلق علاقة بين القارئ والقصة من خلال الخوض في القصة بتفاصيلها ومعايشة المصادر وحياتهم. الصورة لصحفية محاطة بأطفال أثناء إعداد قصّة في مخيم الزعتري للاجئين السوريين في الأردن. تصوير: صلاح ملكاوي - غيتي.

أنجزنا تقريراً مطولاً فيه كل مشاهداتنا عن الوضع العام للاجئين في النمسا، بالإضافة إلى استطلاع للرأي عن آراء الناس بالجو العام تجاه اللاجئين في البلاد، وتقارير عن قصص نجاح، ومقالات توضيحية عن بعض النقاط الأخرى مثل كيفية الدراسة في النمسا، إلى جانب مخططات توضيحية وغرافيكس عن الإحصائيات الرسمية لطالبي اللجوء واللاجئين في البلاد.

بتلك الزيارة التي قمنا بها بعد بحث طويل عن الوضع في النمسا منذ تولي اليمين واليمين المتطرف الحكم، توضحت لنا ولقرائنا الصورة العامة للنمسا، فنحن لم نكتب نصوصاً وتقارير فحسب، بل جعلنا القارئ يرى أننا في عين الحدث وبين الناس ننقل أصواتهم وانفعالاتهم ونشارك قصصهم بالنص والصوت والصورة، ولم يكن ذلك ليتم لو لم نستخدم الوسائط المتعددة؛ فإحدى مفاتيح نجاح أي موقع أو مؤسسة إعلامية هو الاعتماد على الصحافة المتأنية باستخدام الوسائط المتعددة. يرى الصحفي الذي يعد تقارير متأنية ثمار القصة بعد وقت طويل قضاه في غرسها، ففي قصة صانع الأفلام الألماني، وافقت 11 مدينة ألمانية على استقبال الأطفال اللاجئين، لكن غريغ ما زال بحاجة إلى إقناع الحكومة الاتحادية بذلك، ويقول إن استقبال أولئك الأطفال سيكون أفضل هدية يمكن تقديمها لهم في أجواء عيد الميلاد. وكأن بطل قصتنا يريد أن يصبح „بابا نويل" هذه السنة، معتمداً على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق ذلك. ولم لا؟ وحاجتنا إلى التفكير المتأني تزداد في عصر ثورة تدفق المعلومات!

ملف خاص بقضية جمال خاشقجي

بعد الثاني من أكتوبر عام 2018، ضجّت وسائل الإعلام حول العالم بالأخبار المتعلقة بحادثة اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده في إسطنبول. وتباينت طبيعة التغطية وأساليبها بين وسائل الإعلام لعدة أسباب وعوامل جعلت من هذه التغطية حالة دراسية تستحق التمعّن. ولتحليل النمط العام لهذه التغطية كان لا بد من التروّي ومتابعة المشهد وتطوراته بإمعان، من ثم الخروج بعدد من النقاط المهمة المتعلقة بطبيعة التغطية الصحفية لهذا الحادث.

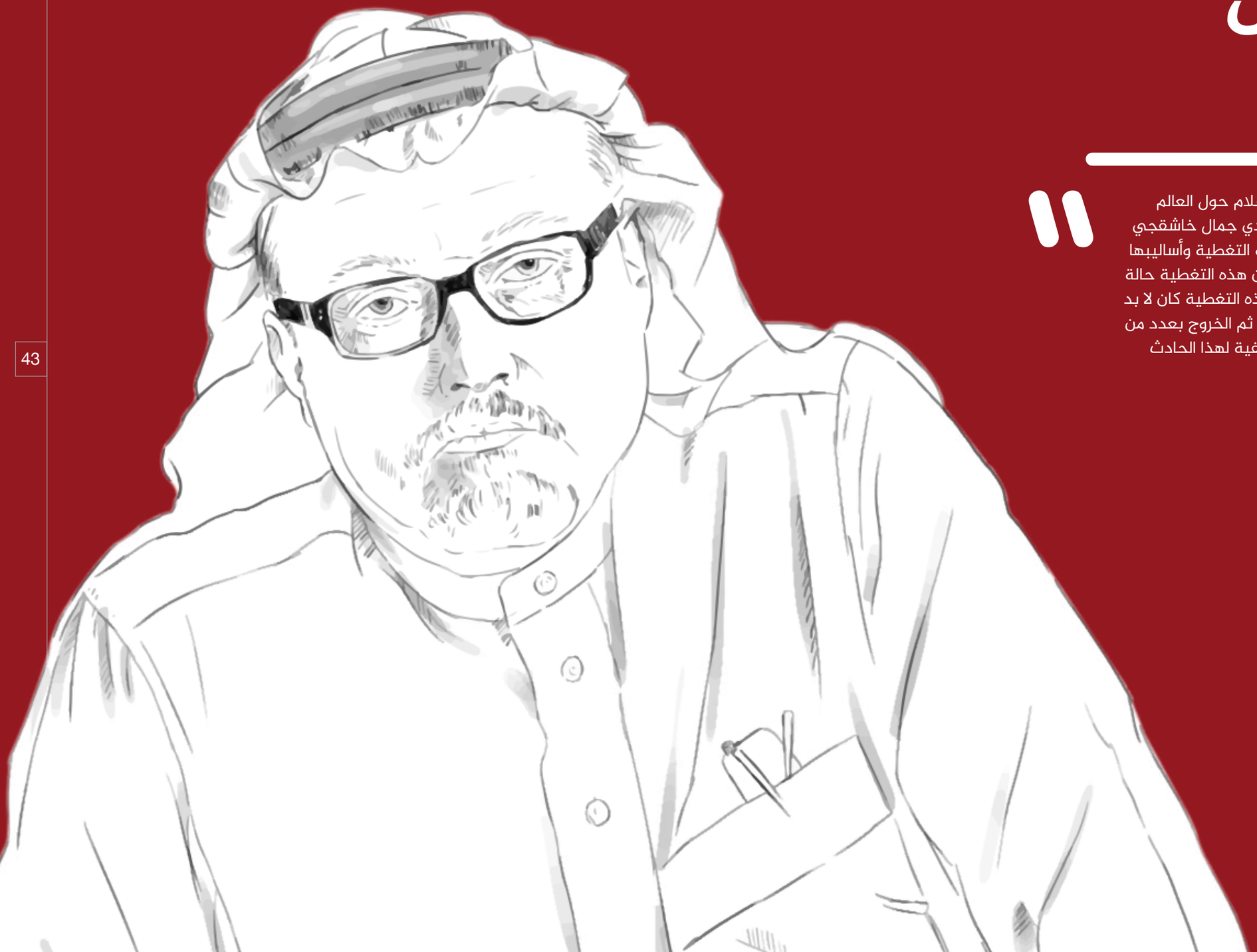

المصدر المجهول في قصة جمال خاشقجي: تجاوز أخلاقي أم لعبة سياسية؟

قراءة: سمية اليعقوبي

كانت التسريبات مصدر المعلومة الوحيد للصحفيين في تغطيتهم لتطورات قضية اختفاء ثم مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي. الصورة لصحفيين يجلسون أمام القنصلية السعودية في إسطنبول بانتظار أن تظهر معلومات جديدة حول حادثة اغتيال جمال خاشقجي. تصوير: كريس ماكغراث - غيتي.

هل وقعت الصحافة ضحية لتلاعب تركيا وأطراف أخرى بالرأي العالمي دون تحمل أدنى مسؤولية؟ بهذا التساؤل يمكن إعادة التفكير في الاستخدام الاستثنائي للمصادر المجهولة في قصة مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي. في الأشهر القليلة الماضية التي تصدرت فيها قضية مقتل خاشقجي أجندة الأخبار السياسية في المنطقة، كانت وسائل الإعلام العربية والعالمية مستعدة لبث مستمر وعاجل للأخبار المتلاحقة مع القليل من الشروط التحريرية المعتادة التي تقتضي الكشف عن مصادر المعلومات وعدم إخفاء تفاصيل مسربي التصريحات.

منذ تشرين الأول - أكتوبر الماضي وحتى اليوم، لا تزال تداعيات القضية مستمرة، وفي كل يوم تكشف المصادر لوسائل الإعلام ما يبدو أنه خيط صغير يدلنا على جريمة بشعة ومروعة. يمكن القول إن ما يزيد عن نصف معلومات هذه القصة العالمية استحوذت عليه أقاويل ومعلومات المصادر المجهولة، ونشرتها كبرى وسائل الإعلام دون استثناء، بينها وكالة رويترز والجزيرة وواشنطن بوست وروسيا اليوم، إضافة إلى وسائل الإعلام التركية، ما يشكل اتجاهاً صحفياً يفضي إلى التعبئة العامة بالتسريبات.

وتباعاً، جرى استخدام المصادر المجهولة على النحو الآتي: مصادر مجهولة من الشرطة التركية، ومصادر مجهولة من الداخلية التركية، ومسؤول حكومي سعودي، ومصادر من الكونغرس الأميركي، ومصادر من مكتب التحقيقات الفدرالية الأميركية، ومسؤول تركي رفيع المستوى. واستحوذت وكالة رويترز على النسبة الأكبر من استخدام المصادر المجهولة بواقع 16 تسريباً مجهول المصدر حتى كانون الأول - ديسمبر الماضي.

لا يمكن إغفال الدور الحقيقي للمصادر المجهولة في كشف ملابسات الجريمة، حيث كشفت

> «سنمنح التجهيل لأي مصدر في أي وقت ولأي سبب»
>
> هنري بلودجيت - كبير محرري بزنس إنسايدر

هذه المصادر تفاصيل خطيرة تتصل بالكيفية التي وقعت بها الجريمة وتسريبات مصورة من الكاميرات العامة وتسريبات بشأن طرق التخلص من الجثة إضافة لبعض التسريبات الطفيفة بشأن الاتصال بين طرفي الأزمة السعودي والتركي. لا يستطيع المتابعون على سبيل المثال نسيان تلك الصورة الشهيرة التي أثبتت دخول خاشقجي لمبنى القنصلية دون خروجه منها، وهي واحدة من أبرز التسريبات التي أفضت بها مصادر مجهولة من الشرطة التركية.

استثناء أم قاعدة .. أخلاق أم قانون؟

الصحفية وجدان بوعبدالله التي تابعت نقل أحداث قضية جمال خاشقجي عبر وسائل الإعلام تقول إن المصادر المجهولة هي استثناء وليست القاعدة، إذ أنه قبل قبول إخفاء هوية المصادر، فإنه ينبغي التأكد من وجود مبرر حقيقي ومقنع لذلك، مضيفة أنه غالباً ما يعلم الصحفي ومؤسسته من يقف خلف هوية المصادر المجهولة، واختيارها في قصة خاشقجي كان مناطاً بعهدة الصحفي ومستوى الثقة بالإعلام التركي، والالتزام الأخلاقي للمؤسسات. وكمتابعين لما حدث، ينبغي أن نتثبت من الدوافع التي تقف خلف تظليل المصادر وعدم تمرير ذلك من باب إخلاء المسؤولية ثم الوقوع في فخ التسريبات المضللة. ونستطيع اليوم أن نرى اعتماداً من جانب بعض الصحف الكبرى مثل صحيفة نيويورك تايمز على المصادر المجهولة في حالات قصوى جدا بينها تلك المتصلة بالأمن القومي.

من جهته، يقول الصحفي عادل مرزوق إن قضية خاشقجي كانت بالغة الحساسية ومؤثرة على الرأي العام وأتت ضمن الصراع الدائر في منطقة الخليج العربي، ولذلك لابد من

الإقرار بأنه قد تم التلاعب بالصحفيين بمصادر حقيقية وأخرى وهمية بهدف توجيه الآراء نحو أهداف سياسية.

في تجارب الصحف: مصادر مثمرة وأخرى قاتلة!

تستحوذ صحيفة واشنطن بوست اليوم على دور كبير في تغطية وتحليل قضية مقتل الصحفي الذي عمل معها مدة تزيد عن عام. وقد يعتقد المتابعون والمهتمون بشأن قضية خاشقجي أن تسريبات الصحافة من قبل مصادر مجهولة قد تتصل بالمعلومات والأحداث البسيطة والأقل وطأة ولكن يمكن بسهولة تأكيد خلاف ذلك. ففي واشنطن بوست نفسها، لا شيء أكثر شهرة وأهمية من "لسان مصدر ووترغيت" الوهمي في عام 1972 والذي ساعد الصحيفة على كشف اختراق خطير للأمن يتربص بالبيت الأبيض. لقد كان ذلك بمثابة انجاز عالمي أرجع للصحافة مكانتها في التأثير في القرار السياسي، ولواشنطن بوست مكانتها بين كبرى الصحف العالمية. لم تمض عشر سنوات لاحقاً، حتى وقعت الصحيفة نفسها في مأزق أخلاقي كبير يطالبها بالاعتذار من الشعب الأميركي لدى اعترافها رسمياً بأن الصحفية جانيت كوك التي عملت ضمن فريق استقصائي وحازت على جائزة بوليتزر عام 1981 هي صحفية كاذبة نسبت قصتها إلى مصادر مجهولة وغير حقيقية في تغطيتها لقصة الطفل "جيمي" البالغ من العمر ثمان سنوات والذي يتعاطى المخدرات في أحد الأحياء الفقيرة بالعاصمة واشنطن.

يشير لين والش رئيس تحرير مجلة أخلاقيات الصحفيين المحترفين في مقالة حول امكانية تكذيب المصادر المجهولة إلى ضرورة منح ضمانات كافية لتصديق القصة الصحفية عند استخدام المصادر المجهولة، حيث يقول: إذا كان الصحفيون سيلجأون إلى التجهيل، فهم بحاجة إلى شرح لماذا استخدموا مصادر مجهولة. يمكن إخفاء الأسماء الصريحة للمصادر، ولكن ينبغي إيضاح أوصافهم ومواقفهم الأيدولوجية وواجباتهم الوظيفية على أقل تقدير لإضفاء المزيد من الثقة للقصة. وبهذا يمكن للصحفيين منح جمهورهم معلومات تمكنهم من فهم أفضل للقصة عبر ارتباط المصادر بها ولماذا تعني هذه المصادر شيئاً مهماً للقصة.

الصحفية إيمان محمد ترى أنه من اللافت للانتباه أن مصدراً مسؤولاً في الشرطة التركية "مجهولاً" قد جرت الاستعانة به كمصدر أساسي كل مرة لسرد تداعيات قصة مقتل خاشقجي. قدم أفراد الشرطة المجهولين معلومات عن سير التحقيقات، وتسريبات من الكاميرات العامة، ومعلومات عن نتائج الفريق الجنائي، وغيرها من المعلومات الحكومية التي يبدو تسريبها بهذا الشكل وكأنها عملية مخططة مدفوعة بالرغبة لاقتناص الآراء العامة والتأثير على اتجاهات المتابعين. وبعد أيام من وقوع الحادثة، كان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يلقي خطاباً ينتظره العالم قال فيه إنه سيوضح ما ينبغي إيضاحه بشأن ما حدث لجمال خاشقجي في سفارة بلاده، لكن شيئاً لم يحدث مما وعد به. لقد ظل الرأي الرسمي (بينها تصريحات أردوغان ووزير خارجيته) متكئاً على المعلومات التي تفضي بها التسريبات المجهولة ومعتداً بها مع القليل من التأكيدات الرسمية والصريحة إزاء ما حدث.

إذا كان هناك ثمة توافق حقيقي بين التسريبات المجهولة والرأي الرسمي فإنه ينبغي حقاً التساؤل: لماذا يخشى مسؤولو الشرطة التركية من الإفصاح عن أسمائهم للجمهور العام؟ ألا ينبغي أن نفكر في الأمر كحادثة نادرة الوقوع في تاريخ الصحافة العالمية لاسيما مع الاهتمام العالمي من كبرى المؤسسات الصحفية بنقل الأخبار مجهولة المصدر؟

يقول الباحث في قضايا الصحافة الالكترونية عبد الجواد عبد الجواد إن استخدام التجهيل في المصادر هو بمثابة سياسة تتبعها وسائل الإعلام نفسها وهي قضية أخلاقية بحتة ولا يوجد أية قوانين محلية تنص على ذلك بوضوح، وإن تم نشر الخبر ونُسب لمصدر مجهول،

فإنه يجب أن يكون معروفاً -وحسب العرف الصحفيّ- بالنسبة إلى رئيس التحرير أو جهة التحرير التي تقوم بنشر المادة المذكور فيها. لا شك أن كثرة وجود المصادر المجهولة يضعف مصداقية الخبر. ويضيف: هذه المرة كان الحال مختلفاً بالنسبة لقضية استثنائية بكل أبعادها مثل قضية خاشقجي، إذ لم تتعد نسبة المصادر المعروفة للأخبار بشأن قضيته رُبعَ المصادر، وكانت المستجدات الأكثر أهمية من نصيب تسريبات المصادر المجهولة، وربما يعود ذلك للحساسية الشديدة التي تتسم بها القضية، فبعدها السياسيّ الرابط بين مصالح دولتين أو أكثر هما الأثقل وزناً في منطقة الشرق الأوسط، يتطلب الكثير من الحذر عند التعاطي مع المعلومات وتقديمها بصورة عامة، وهذا لا يعني تجاهل البعد الإنساني العالي الذي جعل من قضية هذا الصحفي أكثر من مجرد قضية اغتيال صحفيّ بل تجاوزته إلى تقطيعه بالمنشار وإخفاء أثره بينما كانت خطيبته تنتظر خروجه خارج السفارة. إن حساسية الموقف التركيّ إزاء مسؤوليته تجاه الرأي العام ومسؤوليته تجاه علاقاته في المنطقة جعلت من المصادر المجهولة هي الأسلوب الوحيد ربما للإفصاح عما لا يمكن للدولة التركية الإفصاح عنه علناً وإلا تسبب لها ذلك بمشادات سياسية في غير موعدها مع السعودية والأطراف المؤازرة لها، وكذلك الأمر بالنسبة للتسريبات من الأطراف الأخرى".

وفي هذا السياق يقول الصحفي فوزي باكير: "بالنسبة لي، كصحفيّ لا يمكنني النظر إلى المسألة من جانب أخلاقي، لأن الأخلاق هنا خارج المعادلة تماماً. إن المسألة سياسية، وتتعلق بصراع سياسي بين أطراف تريد أن تفرض نفسها، وما علينا النظر إليه وفهمه وإدراكه، هو آليات عمل الماكينات الإعلامية ومموليها في ضخ الأخبار بهدف السيطرة على الرأي العام وتوجيهه، عبر قبضة سياسية محكمة".

يرى خبراء أن اللجوء لإخفاء أسماء مصادر القصة الصحفية يجب أن يكون مبررا من قبل الصحفي لكي لا يقع العامة ضحية التضليل. الصورة لخبراء الطب الشرعي التركي في منزل القنصل السعودي في إسطنبول أثناء بحثهم عن أدلة تتعلق بقضية اغتيال الصحفي جمال خاشقجي. تصوير: كمال أصلان - رويترز.

اغتيال خاشقجي.. فرصة لقيام تحالف إعلامي عالمي للحقيقة

حسني محمد

إن الساحة الإعلامية العالمية أصبحت مهيأة الآن وأكثر من أي وقت مضى لقيام مثل هذا التحالف الإعلامي، خاصة أن حادث اغتيال خاشقجي أثبت أن هناك وسائل إعلام عديدة في العالم وصحفيين كثيرين ينحازون إلى الحقيقة ولا يخضعون للابتزاز المادي والمعنوي لتغيير قناعاتهم وإبعادهم عن نصرة الحقيقة.

"الحقيقة لا تموت أبداً، وكذلك يجب ألا ينطفئ وهج التزامنا بالحق الأساسي في حرية التعبير". غطت هذه العبارة مساحة كبيرة من صفحة الأمم المتحدة على الإنترنت في اليوم العالمي لإنهاء الإفلات من العقاب على الجرائم المرتكبة بحق الصحفيين، الذي يوافق الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام. وبينما كانت الوسائل الإعلامية والحقوقية الدولية تحصي الأعداد المتزايدة من الصحفيين الذين وقعوا ضحايا أعمال قتل واغتيال ممنهج، وعددهم 77 صحفياً خلال العام 2018 فقط، كان حادث اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي داخل قنصلية بلاده مطلع أكتوبر/تشرين الأول الماضي ما زال يفرض نفسه على أجندة الاهتمامات الدولية، ليمثل حدثاً فاصلاً ونقطة تحول مهمة، ويعزز المطالبة الدولية المستمرة بوضع حد للخطورة التي يواجهها الصحفيون في العالم، بناء على التأثيرات التي تركتها قصة الصحفي الذي أتى قنصلية بلاده طالباً العون، ولم يخرج منها.

انتصار تاريخي للنزاهة

يمكن القول إن تداعيات هذا الحدث ونتائجه قد تجعل عالم ما بعد خاشقجي مختلفاً عما سبقه، وإن تاريخ الثاني من أكتوبر 2018 الذي وقعت فيه هذه الجريمة المروعة

لم يكن التضامن مع مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي، مرهونا بأجندات وسائل الإعلام، بل كان حدثا هز الصحفيين حول العالم. في الصورة صحفي سيريلانكي يرفع صورة جمال خاشقجي خلال وقفة احتجاجية نظمها اتحاد الصحفيين الإلكترونيين في سيريلانكا أمام السفارة السعودية في العاصمة كولمبو. تصوير: دينوكا ليانوات - رويترز.

قد يبقى محفوراً في ذاكرة البشرية لسنوات طويلة. إن وسائل الإعلام في مختلف دول العالم تقريباً قد انتصرت في معركة النزاهة، واختارت جميعها وباستثناءات قليلة -ربما في سابقة تاريخية- أن تقدم المبادئ على المصالح الضيقة، وأن تنتصر للحقيقة التي ما كان لها أن تظهر لولا وجود صحافة حرة غير مرتبطة بتمويل من الطرف الفاعل والأطراف المتحالفة معه.

ولهذا الاستثناء التاريخي عوامله المتصلة بطبيعة القصة نفسها، حيث كتبت مجلة "تايم" الشهيرة التي اختارت خاشقجي، ومعه إعلاميين آخرين، شخصية العام 2018: "كل تفصيل في حياة خاشقجي كان مثيراً للاهتمام حتى في ما يتصل بمقتله.. التوقيتات الزمنية لنقل كاميرات فيديو المراقبة لحظة دخوله القنصلية، وصور ممشى المطار الذي أظهر قاتليه، ومنشار العظام وصوت كلماته الأخيرة التي تخنق الحياة منه مرددا: لا أستطيع التنفس. إن جميع تلك التفاصيل لم تكن لتظل على قمة أجندة الأخبار لمدة شهرين لولا الحالة الملحمية لشخصية خاشقجي والغياب الكامل للأخلاق في سياسة قاتله".

مؤشرات أولية يمكنها أن تقودنا إلى تعمق القلق العالمي إزاء قضية خاشقجي منذ الساعات الأولى التي تلت الاغتيال، بينها تصدر وسم جمال خاشقجي على موقع "تويتر" لمدة تزيد عن أسبوع في بعض الدول. هذا الوسم الذي أبقت وسائل الإعلام جذوته مشتعلة، إذ تسابقت في متابعة الجريمة والإعلان عن الكثير من التفاصيل المروعة والتصريحات التي صاحبت عملية الاغتيال. على محرك البحث غوغل، أظهر البحث عن الأحداث المتصلة بالقضية ما يزيد عن 5000 نتيجة خلال أسبوع واحد. ورغم أنه من المبكر الوصول إلى استنتاجات عامة تستند إلى دراسة تحليلية موسعة لحجم ونوعية التغطية التي قدمتها وسائل الإعلام، فإنه يمكننا الزعم وبدرجة ثقة كبيرة أن الإعلام الدولي -باستثناء الإعلام السعودي وتوابعه وحلفائه في الإمارات والبحرين ومصر- هو من أجبر السلطات السعودية على تغيير روايتها للحادث، ودفعها إلى الانتقال التدريجي من الإنكار التام إلى الاعتراف الكامل بالجريمة والقبض على المشتبه بارتكابهم لها.

الفاعلون الجدد

بين أغسطس/آب 1990 وفبراير/شباط 1991، كان مراسل قناة "سي.أن.أن" الأميركية بيتر آرنيت رفقة زملائه من المراسلين، ينقلون عبر بث فضائي مباشر من فندق في بغداد، تفاصيل ووقائع الحرب المتلفزة والمسماة عملية "عاصفة الصحراء" الموجهة لتدمير القوات العراقية التي احتلت الكويت. سمحت تكنولوجيا الاتصال حينها لأول مرة بأن يشاهد العالم حرباً تلفزيونية، ويرى صوراً حية لحاملات الطائرات ومسارات الصواريخ، والسماء التي كانت تضيء كل مرة بفعل وصول القنابل العنقودية إلى أهدافها. وبسبب سخونة الحدث، وطرد غالبية المراسلين الأجانب من بغداد، كانت تغطية "سي.أن.أن" على الهواء مباشرة ودون مونتاج منعطفاً حاسماً في التغطية الإخبارية المتواصلة. إن تأثير شبكة الجزيرة وصحيفة "واشنطن بوست" في مسار قضية خاشقجي يذكرنا بتأثير شبكة "سي.أن.أن" الأميركية في حرب تحرير الكويت مطلع تسعينيات القرن الماضي. لقد أثبتت الجزيرة وواشنطن بوست في حادث خاشقجي قدرة وسائل الإعلام التقليدية، كما الجديدة، إذا ما توفرت لديها الإرادة والدافعية والإمكانات المادية والبشرية على أن تكون ذات تأثير بالغ في السياسات والأحداث والقضايا العالمية، وقدرتها غير المحدودة في مواجهة من يريدون إخفاء الحقيقة أو التلاعب بها.

ولعل من أهم عوامل نجاح وسائل الإعلام في كشف حقيقة الجريمة دخول مؤسسات إعلامية قوية وذات تاريخ في سباق وصراع حقيقي من أجل وضع الحادث على رأس أجندة اهتمامات العالم، وإبقائه على هذه الأجندة لأطول فترة ممكنة. صحيح أن كل وسيلة من هذه الوسائل دخلت معركة الحقيقة مدفوعة ربما بمصالحها الخاصة، بينها تصفية حسابات مع الرئيس الأميركي دونالد ترامب وحزبه الجمهوري الذي قدم المصالح الاقتصادية مع السعودية على المبادئ، ولكن المحصلة النهائية تؤكد أن جميع هذه الوسائل -ودون اتفاق مسبق ظاهر على الأقل- قد التزمت منذ بداية القضية وحتى الآن نفس خط رواية الإدانة التي اعتمدت على تسريبات السلطات في أنقرة، سواء لوكالة رويترز البريطانية أو وكالة الأناضول التركية شبه الرسمية، أو الصحف التركية. وفي هذا الإطار، لا يمكن تجاهل الدور المحوري الذي لعبته قناة الجزيرة على المستويين العربي والعالمي في المتابعة المستمرة للقضية، وقيادة وسائل الإعلام العربية والعالمية غير المرتبطة بالتحالف السعودي، عبر تغطية خبرية موسعة وعلى مدار الساعة، استعادت من خلالها قطاعاً كبيراً من مشاهديها وذكرتهم بتغطيتها المتفردة والمتواصلة لأحداث الربيع العربي قبل سنوات. كما لا يمكن أيضا إنكار الدور الرئيسي الذي قامت به صحيفة "واشنطن بوست" التي كان يكتب فيها خاشقجي، وصحيفة "نيويورك تايمز"، في قيادة الصحف ووسائل الإعلام الأميركية والعالمية لتشكيل ما يشبه التحالف الإعلامي الدولي المناهض للرواية السعودية، الذي ما زال يمارس ضغوطاً شديدة على صناع القرار في واشنطن والدول الغربية، خاصة عبر مقالات الرأي وتقارير المراسلين من موقع الحدث

نائب المدير التنفيذي للجنة حماية الصحفيين (CPJ) أثناء مؤتمر صحفي عُقد في 18 أكتوبر 2018 في مقر منظمة الأمم المتحدة في نيويورك؛ لرفع مذكرة للمنظمة تتعلق بملابسات اختفاء الصحفي السعودي جمال خاشقجي. تصوير: شانون ستابليتون - رويترز.

والعواصم الدولية المرتبطة به. في هذا السياق، عبّرت كارين عطية مسؤولة صفحات الرأي في "واشنطن بوست" والزميلة السابقة لخاشقجي قائلة: "لا يمكنني الابتعاد أو تجاهل ما حدث فقط لكونه مجرد سياسة وأن هذا هو الشرق الأوسط.. لا أريد أن أكون بهذه الضحالة وأسمح بأن تحدث هذه الجرائم باستمرار.. إن مهمة المحرر هي الإبقاء على أصوات كتّابه وصحفييه".

تحالف إعلامي للدفاع عن الحقيقة

يدفعنا تأثير الإعلام في قضية خاشقجي إلى الحديث عن إمكانية إقامة تحالف إعلامي دولي للدفاع عن الحقيقة في كل أنحاء العالم، يضم الصحف والمحطات التلفزيونية التي شاركت في التغطية المتميزة لجريمة القنصلية. ويمكن أن يتطور هذا التحالف ليصبح أساساً لنظام إعلامي عالمي جديد تكون المبادرة فيه لوسائل الإعلام لا لحكومات الدول المختلفة، كما كان الحال في النظام العالمي الإعلامي الذي ثار الجدل حوله في منظمة اليونسكو خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وفشلت المنظمة الدولية في إقراره.

إن الساحة الإعلامية العالمية أصبحت مهيأة الآن وأكثر من أي وقت مضى لقيام مثل هذا التحالف الإعلامي، خاصة أن حادث اغتيال خاشقجي أثبت أن هناك وسائل إعلام عديدة في العالم وصحفيين كثيرين ينحازون إلى الحقيقة ولا يخضعون للابتزاز المادي والمعنوي لتغيير قناعاتهم وإبعادهم عن نصرة الحقيقة.

لقد مضى الزمن الذي كنا نتحدث فيه عن تمييز واضح بين وسائل الإعلام في الدول المتقدمة ومثيلاتها في دول العالم الثالث، بعدما أذابت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الجليد الذي كان يحول دون التواصل المثمر بين هذه الوسائل، خاصة في الدفاع عن الحقيقة ومواجهة انتهاكات حقوق الإنسان ودعم حرية الرأي والتعبير. وفي مرحلة ما بعد خاشقجي، أصبحت الفرصة مواتية لإطلاق مبادرات إعلامية عالمية جديدة، تتضامن من خلالها وسائل الإعلام الرائدة في العالم مثل الجزيرة، والسي. أن.أن، والواشنطن بوست، ونيويورك تايمز، والغارديان، والإندبندنت، والإيكونوميست وغيرها، وتشكل تحالفاً إعلامياً عالمياً يستهدف نشر الحقائق أيا كان الثمن، والوفاء بحق الجمهور في الحصول على معلومات صحيحة.

يقظة إعلامية

"كان الناس في العالم العربي مفتونين بالحرية ومنغمسين في توقعات مجتمع مشرق حرّ، لكن سرعان ما تحطمت هذه التوقعات".. بهذه الكلمات عبّر جمال خاشقجي في آخر مقالة نشرها بصحيفة واشنطن بوست عن حالة تلاشي الحريات التي يعيشها الإنسان العربي تحت وطأة الرقابة والسلطوية.

إن أفضل تكريم وتخليد لذكرى شهيد الصحافة جمال خاشقجي الذي قدم حياته ثمنا لحرية الرأي، أن يكون موته باعثاً على يقظة إعلامية عالمية، تعيد للإعلام اعتباره وتحفظ حياة الإعلاميين من غدر السياسيين الذي لم ولن يتوقف.

موظفو منظمة العفو الدولية في تركيا ينظمون وقفة احتجاجية أمام القنصلية السعودية في إسطنبول بعد مرور 100 يوم على اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي. تصوير: مراد سيزر - رويترز»

الصورة في قضية خاشقجي.. العلامة الفارقة

سمية اليعقوبي

كيف لقصة واحدة أن تحمل كل هذا القدر من الصور والتفاصيل البصرية؟ لا أحد سينسى ما حدث للصحفي السعودي جمال خاشقجي يوم قصد سفارة بلده؛ إذ أصبح لعبارة «قل كلمتك وامش» مع مجموعة متفرقة من الصور والفيديوهات ولقطات الكاميرات العامة التي جسدت المشهد بشكله التراجيدي؛ أثر بالغ الأهمية والغرابة في ذات الوقت.

دواعي الصورة وسط ضجيج الآراء

الصحفي الذي ترك رحيله علامة فارقة في التغطية العالمية ومعالجات وسائل الإعلام في الأشهر الأخيرة من العام الماضي، لم يكن ليترك أثرا كبيرا بين حوادث خطف وقتل الأصوات الفكرية والصحفية في العالم لولا تتابع التفاصيل والمعلومات الصحفية وتلك البصرية التي تتحدث عنها في هذا التقرير، في واحدة من أغرب حوادث قتل واستهداف الصحفيين. عناصر بصرية بذات الأهمية لتكون دليلا جنائيا على وقوع الجريمة ساقتها الصور الآتية من مقر السفارة السعودية تارة، ومن المناطق المحيطة بها والمقار الحكومية والفنادق تارة أخرى، حيث تركت أثرها للمتلقي وصانع القرار السياسي على حد سواء. وإذا كان للصورة أن تغني عن ألف كلمة، فإنها أغنت المتابع العالمي والعربي عن تتبع الكثير من العبارات والتفسيرات والأقاويل الصحفية التي كانت ستطلقها وتدفع بها وسائل الإعلام، في ظل غياب إطار حسي متكامل يتجاوز إنتاج المصورين ليصل إلى تسريبات صور الكاميرات العامة وصور كاميرات المؤسسات المحصنة أمنيا كالمطارات ومراكز حكومية أخرى في العاصمة التركية.

أصبحت صورة بوابة القنصلية السعودية في إسطنبول تحمل رمزية دلالية تعبر عن محاولات طمس الحقيقة خلف الأبواب الموصدة، أو عزل الحقيقة خلف أبواب فولاذية يصعب اختراقها. تصوير: عثمان أورسال - رويترز.

يتحدث المصور الصحفي عدنان الحسين الذي يقيم في إسطنبول، وقد تابع عددا من التسريبات الإعلامية التركية المصورة، عن أهمية الصور الصحفية في تغطية قصة مقتل خاشقجي: "أظهرت الصور جانبا مهما من الحقيقة، وأبعدت الشبهة عن الكثير من التصريحات السياسية والتسريبات التي وصفت بأنها متحيزة. لقد ساهمت الصورة في دفع وسائل الإعلام العالمية للاهتمام بالقصة لكون المشاهد الحسية حاضرة في القضية. ولقد ساهمت الصور في ربط المتابع العالمي بالأحداث، وأصبحنا أمام سلسلة من الصور والمتابعات البصرية الرسمية والمسربة بدأت منذ اللحظات الأولى لاختفاء الصحفي، وانتهت بمشاهد فرق وطواقم التحقيق التركية.

لو أن هذه الصور غابت لكانت الحقيقة مغيبة حتما، ولا شيء يدلنا على مصداقية اتهامات وسائل الإعلام دون الاستناد إلى التراكمات البصرية الحاصلة. أستطيع القول إن التتابع البصري والمرئي لهذه القضية جعل من الصحافة محققا جنائيا لجريمة متعددة التفاصيل ومعقدة المعالم.. الصور هي بمثابة أدلة دامغة على جريمة مروعة".

وحول أكثر الصور أهمية في هذه القصة، تقول الصحفية دارين علامة: "إن أكثر الصور تأثيرا بناء على تجربتي في نقل هذه القصة، هي صورة دخول خاشقجي إلى مبنى السفارة، فهي تعبّر عن المشهد الأخير من حياته، والدليل الأهم على دحض ادعاءات الأطراف التي قاومت تصريحات وسائل الإعلام بالكذب؛ لتنطلق رحلة الكشف عن الحقائق بعد هذه الصورة. إن أهمية الصورة لم تقتصر على بعدها المعلوماتي والإخباري فحسب، بل لتمكنها من حشد الآراء الدولية تجاه القضية والدفع بتبدل المواقف السياسية الدولية أيضا". وبرأي علامة "هناك عنصرا آخر هو الربط بين هذه الصور في قصة متسلسلة، وهذا ليس اختياريا أو تكميليا لسلسلة المعلومات والتسريبات، بل إن هذه الصور تعد ضرورة لاكتمال مشهد الحقيقة. وبعد ما حدث، صرنا أكثر إيمانا بأهمية البصريات في عالم الصحافة السياسية، حيث أسهمت حادثة خاشقجي الموجعة في تعزيز دور الصورة الصحفية في دحض التضليل والزيف السياسي".

الصورة استحضار للرموز

إن تحديد دلالة الأشياء ومرجعيتها استنادا إلى رمزية الصور، أصبح أمرا شائعا في الصحافة العالمية. تتوزع الصور في أنماط متمايزة، ويمكن القول إن سلسلة من الصور التي ينتظم نشرها في سياق مكاني أو اجتماعي محدد، بوسعها أن تخلق رموزا حسية وشعورية تنسجم مع التعبيرات النفسية والبلاغية السائدة، أو أن تقوم بهدم ما يمكن هدمه من المعاني النمطية المتعارف عليها. بوسعنا اليوم أن ننظر إلى صورة واحدة محددين الرمز التي تشير إليه، لكن تذكر هذا الرمز وإدراكه يعتمد بشكل أساسي على مستوى استحضار عناصر تلك الصورة وتكرارها كل مرة في القصص الصحفية. وفي السياق، يقول الباحث في مجال الصورة محمد فاتي: "إذا كان لصورة ما بُعد حركي فإن لها بعدا لغويا أيضا، فصورة واحدة قد تساوي الكثير من التعبيرات والدلالات النفسية، ولهذا يمكن القول إن التعامل مع الصورة هو بمثابة التعامل مع النظام اللغوي".

على سبيل المثال، في حادثة قتل الصحفي خاشقجي، يتم التعامل مع شعار المملكة العربية السعودية الذي يتوسط ببروز في باب فولاذي للسفارة، على أنه أحد رموز تلك القصة ومعالمها التي تستحضر باستمرار. بعض وسائل الإعلام تبنت هذا الأمر إلى الحد الذي جعل من صورة باب السفارة الفولاذي مع شعار المملكة موضوعا للكثير من التقارير والتسريبات الصحفية حتى بعد أشهر من وقوع الجريمة. قد يلحظ المتابع أيضا أن هذه الصورة استخدمت في مواضع كثيرة بديلا عن شح الصور المتصلة ببعض موضوعات التسريبات. اليوم يمكن استحضار مشاعر الصرامة، والكتمان، والسلطوية في صورة واحدة استخدمتها وسائل الإعلام لتعبر عن محاولات طمس الحقيقة خلف الأبواب الموصدة، أو عزل الحقيقة خلف أبواب فولاذية يصعب اختراقها. إن صورة واحدة كهذه الصورة لا يمكنها تأدية دور رمزي لوهلة واحدة، لكن التعبير والتكرار الدائم لها يخلق اتجاها منفردا لدى المتلقي.

مثال آخر تحدثت عنه الصحفية المتخصصة في القضايا السياسية مي محمود: "لا يمكنني تجاوز تلك الصورة الصحفية التي قدمتها وسائل الإعلام على أنها أول لقاء رسمي يجمع ابن الصحفي جمال خاشقجي وهو يصافح ولي العهد السعودي محمد بن سلمان.. عندما وصفت وسائل الإعلام هذه الصورة بأنها لقاء القاتل بالضحية، محللة معالم الوجه والغضب والفتور الذي رافق لحظة المصافحة، فإنني اعتبرت ذلك تقليلا حقيقيا من شأن هذه الصورة القاتمة والسوداوية التي يمكنها أن تدفع بالكآبة.. إنها صورة رمزية بامتياز لأنها تضع المتابع أمام ندين حقيقيين، أحدهما يملك السلطة والقوة، ليدفع بانكفاء الآخر وتلاشيه ودفعه للمصافحة والاستسلام.. إنها أكثر الصور تعبيرا عمّا أسميه قانون الغاب في عالم السياسة".

الصورة وحلول الصحافة في القضايا المعقدة

أمام متابعات قد تمتد لأيام وأشهر، هل تجد في الصورة مخرجا للقضايا المعقدة؟ غالبا لا يتم التعاطي مع سريالية الجرائم ودمويتها عبر وسائل الإعلام بالكثير من التفاؤل. في قصة محزنة لصحفي سعودي يذهب إلى قنصلية بلاده ويختفي بعدها نهائيا، ومع الكثير من الصور التي تؤكد حدوث هذه الجريمة وتكامل تتابعها الزمني بصريا، بدءا من دخول القنصلية وحتى مغادرة فريق الجريمة مقرها، تبعث التكوينات البصرية بالكثير من الإحباط والسلبية على جميع الأصعدة، لكن في ظل المتابعات اليومية التي تنفذها الصحافة لقضايا قد تمتد لأشهر، يمكن اعتبار متابعة الإجراءات الحكومية بصريا أسلوبا ملائما لبث الحياة في المشاهد القاتمة. بعدد غير محدود من صور فرق التحقيق التركي التي تغطي شارع القنصلية ومقر السفارة السعودية بل وفي الغابات والمناطق المحيطة بالجريمة، تعكس الصور الصحفية بعدا جديدا ومخرجا مؤقتا للتعامل مع المشكلات. إنها تمنح المتابع انفراجا مؤقتا يفضي إليه استعداد السلطات وجاهزيتها للتحقيق رغم نجاح الصحافة المحدود في معرفة كافة تفاصيل نتائج هذه التحقيقات.

إن الصور المنتشرة لطواقم التحقيق تظهر -كما لم يظهر من قبل عبر وسائل الإعلام- فرقا بكامل الاستعداد والجاهزية ويحمل أعضاؤها المعدات اللازمة، بل وينتشر أفرادها على أسطح المباني في محاولة لتقصي ما يمكن تقصيه من خيوط الجريمة. في مدونة "الشاهد" التابعة لمنظمة الصورة العالمية، يتحدث البروفيسور في السياسة الدولية ديفد كامبل عن أهمية تجسيد الحلول في تتبع القصص الصعبة قائلا: "إن القصة الصحفية ذات الحدود الضيقة مكانيا والمتشابكة حد الصعوبة، ينبغي أن تلتزم التأثير القائم على استقراء محاولات الحلول، ويمكن أن نسمي هذا المخرج في تتبع القصص بحلول الصحافة. واستنادا إلى هذا التجسيد البصري القائم على بعث الحلول وتقديمها حتى وإن كانت آنية، فإننا يمكن أن نتعامل ونفهم هذه الصور بمزيد من الإيجابية وأنها مخرج محدود للتعامل مع المشكلات".

صحافة اليوم عوالم حسية مستمرة

مهما بلغت قتامة الظروف والأحداث السياسية التي تتابعها الصحافة العالمية كل يوم، فإن الحاجة إلى خلق عوالم بصرية قائمة على تقصي الأحداث ومتابعتها بفعل تأثيرات الصورة أصبحت حاجة ملحة، في ظل انتشار حملات الكذب والتزييف. إن معرض الصور الصحفية في المواقع الإعلامية الإخبارية هو بمثابة ذاكرة حسية تنقل الكثير من المعلومات والاتجاهات، دون الحاجة للرجوع إلى مهارات المحرر الصحفي أو المحلل السياسي. يقول المصور الصحفي علي الفهداوي الذي غطى عددا من الأحداث السياسية والحروب في العراق: "لا توجد صحافة دون صورة، ولا توجد صورة دون مغامرة. كمصور صحفي لا بد أن تقتنص لحظات مستمرة وجريئة في ذات الوقت. إن الأحداث الصعبة تنتج صورا يصعب تخيلها، ولكنها في ذات الوقت تمنح شعورا بالإنجاز لدى المتلقي قبل الصحفي نفسه، فكيف يمكن جمع أحداث الترقب والقلق والمفاجأة في صورة ثابتة؟ هذا ما نحتاج فعله في صحافة اليوم".

حملت صورة مصافحة نجل جمال خاشقجي لولي العهد السعودي محمد بن سلمان الكثير من الرمزيات لدى الصحفيين الذين ذهبوا بعيدا في تحليل أبعادها - رويترز.

ما بين الرأي والدعاية ... أين الصحافة؟

عمر أبو عرقوب

تستطيع هندسة الجمهور أن تدفع بناخب للتصويت لصالح طرف في الانتخابات، في المقابل، تكمن وظيفة الصحافة في أن تكشف حقيقة أن الدعم المادي الذي تلقاه طرف من طرفٍ خارجي لتحقيق مصالحه مثلاً، وتبيان الوسائل والأدوات التي استخدمها هذا الطرف للتأثير على الجمهور وتوعيته بها وبمخاطرها.

ردد مارشال ماكلوهان، صاحب عدة نظريات إعلامية، بأن وسائل الصحافة والإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها؛ تحدد طبيعة هذا المجتمع والطريقة والكيفية التي يفكر ويعمل بها، ومن دون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام، لن نستطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات.

ولفهم آلية عمل وسائل الصحافة والإعلام في العصر الحديث، فإن هنالك مجموعة من مناهج العمل الإعلامي العلمية التي تفسر ذلك، أبرزها المنهجُ الصحفي والذي يناظره منهج هندسة الجمهور. فكل منهج منهما لديه مبادئه وأهدافه ودوافعه وآثاره. إلا أنه مع تطور وسائل الإعلام والاتصال وتعدد استخداماتها وأدواتها، أصبح المنهج الصحفي يعاني من الذوبان والتهميش وربما الاندثار، واتجهت الأنظار نحو منهج هندسة الجمهور لقدرته على الاستقطاب والتأثير بشكل أكبر وملفت.

المنهج الصحفي (تعريف المنهج)

للصحافة وظائف عدة، فهي تقدم جانبا ترفيهيا ومسليا للمجتمع، وترسم له خلفيةً معلوماتية عن الأحداث والمحيط من حوله، وتقدم تفاسيرا للظواهر المحيطة، وتشرح العلاقات السببية للأحداث، وتحفز الجمهور لتعلُّم الأشياء الجديدة ومواكبة التطورات، بل إنها أداة هامة لحفظ السلم في المجتمع.

كل ذلك لا بد أن يقدَّم في إطار التعريف الأساسي لمنهج الصحافة، بالسعي للحقيقة، فالصحافة قد لا تحتمل إلا وجه الحقيقة الموضوعية والمصداقية والقيم والأخلاق. هذا الدور للصحافة يضمن تقديم المعلومات والمعطيات للأفراد بحيث يكونون قادرين على اتخاذ القرارات المناسبة المتعلقة بواقعهم، وبالأحداث التي تمسهم، فإن صحت المدخلات التي تقدمها الصحافة لهم ستكون قرارات الأفراد، كمخرجات، صحيحة وواقعية وحكيمة أكثر، والعكس صحيح. لذلك على الصحافة الالتزام بمبادئها المُقرّة ومسؤولياتها في خدمة القضايا والقيم الإنسانية والعادلة، وتطبيق المنهج الصحفي.

منهج هندسة الجمهور

ظهر وترسخ منهج هندسة الجمهور (The Engineering of Consent) في النصف الأول من القرن العشرين على يد رائد علم العلاقات العامة النمساوي إدوارد بيرنيز (Bernays Edward) الذي انتقل للعيش في الولايات المتحدة متشربا لأفكار خاله عالم النفس سيغموند فرويد (Freud Sigmund) والتي استخدمها في الدعاية بشكل عام والدعاية السياسية والبروباغاندا بشكل خاص، حيث تعتبر هندسة الجمهور إحدى الفروع والاستراتيجيات

بدأت ظاهرة هندسة الجمهور من خلال الإعلام بالبروز في بدايات القرن الماضي لا سيما في الاتحاد السوفيتي. الصورة من داخل إحدى المنشآت العسكرية السوفييتية في لاتفيا. تصوير: أنتس كالننس – رويترز.

التي تندرج تحت علم العلاقات العامة، ونشر بيرنيز أول مقالة علمية له عن هندسة الجمهور عام 1947.

ويمكن تعريف منهج هندسة الجمهور حسب بيرنيز نفسه وما اتفقت عليه مجمل الدراسات العلمية، بأنه عملية التأثير على العقل اللاواعي للجمهور المستهدف وحاجاته وغرائزه، عن طريق دراسة كافة تقسيماته، ومن خلال منهج هندسي قائم على دراسةٍ وفهمٍ وتخطيطٍ لجوانب العمليةِ الاتصالية النفسية والاجتماعية والسياسية، وتقنيات التأثير والإقناع كافةً، من أجل تحقيق أهداف ومصالح محددة. واعتبر جوزيف كلابر (1948) المنهج بأنه كل ما يسعى إلى تغيير عقل الآخر. ويرى آخرون بأن هندسة الجمهور هي قصف جمهور محدد برسائل استراتيجية وتضليلهم، وتخويفهم، والتلاعب بالمعلومات التي تصلهم للتأثير عليهم تجاه قضايا محددة.

نجح بيرنيز في ذلك من خلال عدة حملات سياسية وتجارية كان أشهرها حملة "مشاعل الحرية" التي ربط فيها بين تدخين السجائر والعقل اللاواعي للمرأة، بأنها تشكل بالنسبة لها القوة والحرية والاستقلالية في عشرينيات القرن الماضي، حيث نجحت الحملة في رفع مبيعات السجائر لدى المرأة بشكل لافت، وهي الغاية التي كان ينشدها رئيس الشركة الأميركية للتبغ جورج واشنطن هيل.

إلا أن الحكومات والأنظمة تستخدم منهج هندسة الجمهور بطريقة ديماغوجية لأهداف غير ديموقراطية من خلال وسائل الصحافة والإعلام بما يخدم مصالحها ويؤثر على قرارات الجمهور وتوجهاته، وتعتبر فكرة صناعة الرأي العام والتلاعب به التي تحدث عنها وولتر ليبمان (Walter Lippmann) عام 1922 إحدى وسائل هندسة الجمهور.

وانطلاقاً من ذلك، يمكن القول إنه بإمكاننا استخدام هندسة الجمهور إيجابا وسلبا، فالحقيقة ليست هدفا لهندسة الجمهور ولا تعنيها كثيرا، وإنما الهدف والمحرك الرئيسي هو خدمة مصالح وأجندات

وأهداف الجهة التي تتبع لها وسيلة الإعلام، وتكمن خطورة هندسة الجمهور في أنها لا تقدم المعلومات والمعطيات ثم تترك الباب للفرد بأن يتخذ قراره ويكوِّن رأيه، وإنما تؤثر على عقله اللاوعي وتسيطر عليه بطريقة لا يمكنه أن يقاوم تأثيرها أو ألا يكون واعيا لها، وبالتالي التحكم بقرار الفرد وتوجهه.

أما مبادئها فإنها ليست واضحة كالصحافة، فهي تستخدم التقنيات النفسية والإقناعية وما يستثير العقل اللاواعي، بالإضافة إلى استخدامها الوسائل التكنولوجية الحديثة، مثل البيانات الضخمة لتحقيق غايتها المخطط لها مسبقاً، ووسائلها متنوعة ومتعددة ولا تقتصر على وسيلة أو شكل إعلامي محدد، ودوافعها هي أجنداتها الخاصة ومصالح الممولين لها، من شركات وأحزاب وحكومات وغيرهم.

ولكن في حال استخدامها إيجاباً؛ فهي أداة فعالة أكثر من الصحافة في إصلاح المجتمع والانتصار للقيم الإنسانية العادلة والمبادئ الأخلاقية، وبإمكانها قيادة المجتمع إلى السلم المجتمعي وتعزيز روابط وحدته، وبناء جيل حضاري. كما ويعتبر الوعي بهندسة الجمهور مهما لنا كصحفيين وإعلاميين حيث يساعدنا على كشفها وتوعية المجتمع بآثارها السلبية في حال وجدت كونها قد تسعى لإخفاء الحقيقة.

الصحافة أمام عاصفة هندسة الجمهور

تستطيع هندسة الجمهور أن تدفع بناخب للتصويت لصالح طرف في الانتخابات، في المقابل، تكمن وظيفة الصحافة في أن تكشف حقيقة أن الدعم المادي الذي تلقاه طرفٌ من طرفٍ خارجي لتحقيق مصالحه مثلا، وتبيان الوسائل والأدوات التي استخدمها هذا الطرف للتأثير على الجمهور وتوعيته بها وبمخاطرها.

ويمكن أن يكون هذا تماما ما حصل في الانتخابات الأمريكية

الأخيرة 2016، التي كشف فيما بعد بأن شركة كامبريج أناليتيكا (Analytica Cambridge) استهدفت الجمهور الأمريكي، بشكلٍ خاص عبر منصة فيسبوك، للتأثير على طرف لصالح طرف آخر باستخدام منهج هندسة الجمهور في تحليل الجمهور الأمريكي والتأثير على عقله اللاواعي، بحيث لا يستطيع هذا الجمهور مقاومة هذا التأثير. وهو ما اعترف به ضمنيا فيلسوف الكمبيوتر ورائد وادي السليكون الأمريكي على قناة الجزيرة الإنجليزية جارون لانيير (Lanier Jaron) بأن دونالد ترامب كان بإمكانه أن يصبح رئيسا بدون وجود تويتر، لكنه لم يكن بإمكانه أن يكون رئيسيا بدون فيسبوك.

ومن الأمثلة التي يمكن أن يتم دراستها وقياس عمل هذين المنهجين عليها هي قضية مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في إسطنبول، فالتكتم على القضية، وتأويل الشائعات حولها، وتشويه صورة خاشقجي نفسه، واستخدام "الترينـد" السياسي على تويتر، والجيش والتنمر الإلكتروني، والأخبار الزائفة، والتسريبات إعلامية، والتلاعب بمصادر الأخبار لمحاولة تغطية الحقيقة، وباستخدام قادة الرأي العام ووسائل الإعلام التابعة للجهات المتكتمة على الحقيقة. هذا كله وإن تم عبر وسائل صحافية وإعلامية كبيرة ومعتبرة ما هو إلا تطبيقُ لمبدأ هندسة الجمهور.

في المقابل فإن دور المنهج الصحفي في قضية مثل هذه، هو السعي قدر المستطاع إلى كشف الحقيقة وكل ما يقرب لها، وتقديم المعلومات الدقيقة والموضوعية والحيادية للجمهور بكل ما يتعلق بهذه القضية، مع الانتباه إلى عدم المبالغة والتشهير والاعتماد فقط على تسريبات إعلامية، واستخدام الأساليب المخالفة لمبادئ الصحافة ومعاييرها الحقيقية بعيدا عن الأجندات والمصالح. فهذه يمكن اعتبارها صحافة حقيقة تقوم بدورها الحقيقي في المجتمع ومراقبة السلطات ومساءلتها.

استغلت الولايات المتحدة اللوحات الإعلانية كوسيلة لحث الشباب الأميركي على الانضمام للجيش إبّان الحرب العالمية الأولى. الصورة من معرض للدعاية السياسية خلال الحرب العالمية الأولى في متحف نيويورك. تصوير: شانون ستابلتون - رويترز.

تعزيز شكل حديث للصحافة

قد تتجهُ الكثير من الوسائل الإعلامية والصحافية إلى استخدام المنهجين معا، فهي تعمل من خلال المنهج الصحفي وتلجأ إلى منهج هندسة الجمهور عندما يتعلق الأمر ببعض القضايا التي تمس مصالحها، وهو ما يحتاج توعية حقيقة للوسيلة الصحفية أولا، وللجمهور ثانيا. كما يتوجب علينا كصحفيين ومؤسسات صحفية توعية الجمهور بدور وسائل الإعلام وتأثيرها وكيفية التعامل معها، فالجمهور ينبغي ألا يكون فقط متلقيا وخاصة في عصر وسائل التواصل الحديثة والتعددية الصحفية.

قد يعتبر الوصول إلى الصحافة الحقيقية والخالصة أمراً مستحيلا في العصر الحديث، ولكن من المهم المساهمة في بناء وتعزيز الشكل الحديث لها بعيدا عن سطوة السياسة والأنظمة الحاكمة والمال، من خلال وسائل التواصل والصحافة قليلة التكلفة والقادرة على تمويل ذاتها بما يلتزم بمعايير المنهج الصحفي ويزيد موثوقيتها.

ما أحاول طرحه في هذه المقالة هو أن هندسة الجمهور تعيد تشكيل ذاتها لتصبح منهجا علميا متكاملا يوازي منهج وعلم الصحافة، وقد يكون إطارا علميا حديثا لاستيعاب التطور الحاصل في الأدوات والاستخدام لوسائل الإعلام والاتصال الحديثة. ولكن في الوقت ذاته، على الصحفيين والمؤسسات الصحافية أن يدركوا الفروقات بين المنهجين بدقة ووعي، وأن يكافحوا من أجل تطبيق المنهج الصحفي ومبادئه، بحيث لا تكون المؤسسة صحفية لكنها تطبق هندسة الجمهور حرفيا.

محتفلون يرفعون هواتفهم لتصوير احتفالية رأس السنة قرب قوس النصر في شارع الشانزليزيه في باريس الفرنسية. تصوير: كريستيان هارتمان - رويترز.

المراجع

1. ماكلوهان مارشال... قراءة في نظرياته بين الأمس و اليوم. تواتي نور الدين . 2013، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، الصفحات 177-190.

2. Why democracies need a Functional Definition of Journalism now more than ever. Shapiro, Ivor . 2014, Journalism Studies, pp. 555-565. 10.1080/1461670X.2014.882483.

3. سعد المشهداني. الصحافة العربية والدولية: المفهوم، الخصائص، المشاكل، النماذج، الاتجاهات. الإمارات العربية المتحدة : دار الكتاب الجامعي، 2014.

4. The Engineering of Consent. Bernays, Edward L. 1947, The Annals of the American Academy of Political and Social Science, pp. 113-120.

5. The Engineering of Consent: A State-of-the-Art Review. Abu Arqoub, Omar. Famagusta : s.n., 2018, Unpublished Manuscript Submitted for Publication.

6. Bennett, Lance. Engineering Consent The Persistence of a Problematic Communication Regime. Domestic Perspectives on Contemporary Democracy : Domestic Perspectives on Contemporary Democracy. Baltimore : University of Illinois Press, 2004, pp. 132-154.

7. صفقة القرن من منظور الإعلام وهندسة الجمهور . عمر أبو عرقوب . 2018، رؤية تركية ، الصفحات 53-76.

8. نواف التميمي. نموذج التواصل السياسي لـ"كامبريدج أناليتكا": فبركة الأخبار وهندسة الجمهور. مركز الجزيرة للدراسات. [متصل] 8 أيار, 2018 http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2018/05/180508093028286.html.

9. Al Jazeera News. Would Donald Trump be President Without Facebook? Aljazeera.com. [Online] November 17, 2018. https://www.aljazeera.com/programmes/upfront/2018/11/donald-trump-president-facebook-181117065112239.html.

10. El-Mahdi, Rabab. Engineering Consent: The De-Politicization of The Political. Empowered Participation or Political Manipulation? : State, Civil Society and Social Funds in Egypt and Bolivia. Leiden, NETHERLANDS : BRILL , 2011, pp. 155-173.

11. ماهية التدّفق الإعلامي الدّولي و تطورات خطاباته. عبد الله ثاني قدور. 2014، RIST، الصفحات 7-20.

تحديات الرقمنة في اللغة العربية

محمد ولد إمام

يتحتَّم علينا سرعة التعاطي مع النصوص المترجمَة؛ إذ قد لا يُسعفنا الوقتُ لاستشارة المعاجم المتخصصة، وحتى لو أسعفنا فلن تفيدنا، فهذه المصطلحاتُ تتجدد باستمرار، وهو ما يقتضي سرعةَ اتخاذ القرار واعتماد المصطلحات، خاصةً في مجال الأخبار السريعة ومواكبة الأحداث والدراسات الجديدة.

أود في البداية أن أنبّه إلى أنني لستُ بصدد كتابة تقرير أكاديمي أو تناول هذه القضية نظرياً، بل هذه ملاحظاتُ ممارسٍ للصحافة والترجمة، ومن محبّ للغة الضاد وساعٍ إلى إثراء محتواها الرقمي على الإنترنت، فخلال عملي، أجد يومياً مصطلحات جديدة لترجمتها إلى لغتنا، وغالباً ما يكون المصطلح جديداً ولا ترجمةَ له باللغة العربية، مما يدفعُنا إلى محاولة نحتِ واستحداثِ كلماتٍ أو تعابيرَ جديدة. ورغمَ كل التحديات فإن الهدفَ نبيل، ليس فقط على مستوى المجتمع والنهوض به وترسيخ هُويته وانتمائه العربي، بل أيضاً على المستوى الشخصي. حتى الآن، ما زال موضوع الرقمنة جديداً، ولا يتوفرُ الكثير من الدراسات حوله، ولكنه من صميم عملي اليوميّ في مجال الترجمة إلى اللغة العربية الفصحى والنشر بها والتأكدِ من سلامتها، فما أهمّ التحديات التي تواجه اللغةَ العربيةَ في المجال الرقمي؟ وكيف يمكن تنمية وتطوير المحتوى العربي على الإنترنت. وما أهمّ المبادرات في هذا الشأن؟

ثقافة رقمنة المحتوى لا تزال غائبة عن المجمع الثقافي العربي، وتعتمد اعتمادا تاما على الأرشيف الورقي المهدد بالتلف. في الصورة عراقي يقرأ كتابا في شارع المتنبي في بغداد. تصوير: ثائر السوداني – رويترز.

لعله من المناسب أن نبدأ بتعريف الرقمنة، فهي تعريبُ لكلمة "digitization"، وهي مصطلح جديد له عدة مرادفات باللغة الأجنبية منها: scanning، digitalization، computerization، digitizing. كما تُرجم إلى لغتنا عدة تراجم مثل "الترقيم"، "التمثيل الرقمي"، "الأرشفة الرقمية والإلكترونية".

والمصطلح باختصار، يعني تحويل المواد -سواءً كانت مرئيةً أو مسموعةً أو مقروءةً- إلى صيغ رقميةٍ صالحةٍ للتداول على الأجهزة الرقمية والإنترنت، والتخزين على الوسائطِ الحديثة من أقراص صلبة ومرنة، وقابلة للنشر على الإنترنت.

ويواجهُ المتعاملون مع اللغة سواء بالكتابة أو الصحافة أو الترجمة أو الأدب تحديات كبيرةً، خصوصاً في التعامل مع المضامين اليومية. وعبرَ مسيرتي في مجاليْ الإعلام والترجمة خاصةً، تواجهُني عادة بعضُ المواقف أو التعابير التي تتطلبُ بحثاً ثمَّ اختياراً قلَّما يكونان سهليْن بين ما هو صحيحُ وفصيحُ، وبين ما هو دارجُ بين الناس ومفهوم، وإن كان به عَوَرٌ أو خطأ لغويّ خفيف، إن جاز وصفُ الخطأ بالخفة.

الإعلاميون غالباً، عليهم أن يجمعوا بين الدقة والسهولة وما يفهمُه الجمهورُ المستهدف. وهذا الجمع بين اللغة الجزْلة الصحيحة وما هو مفهومُ عادةً ما يكونُ صعباً، خصوصاً في المجالات المستحدثة والعلوم الحديثة، حيث تُنحت المصطلحات بشكل يكادُ يكونُ يومياً تبعاً لتطور هذه العلوم ومستجداتها، وهذا يُحتّم علينا سرعةَ التعاطي مع النصوص المترجمَة، إذ قد لا يُسعفنا الوقت لاستشارة المعاجم المتخصصة، وحتى لو أسعفنا فلن تفيدنا، فهذه المصطلحات تتجدد باستمرار، وهو ما يقتضي سرعةَ اتخاذ القرار واعتماد المصطلحات، خاصةً في مجال الأخبار السريعة ومواكبة الأحداث والدراسات الجديدة.

ساهمت ثورة مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز ثقافة الرقمنة للمحتويات العربية، إلا أنها خلقت مشكلة جديدة تمثلت فيما يعرف بالـ (franco-arabe). الصورة لأحد المتظاهرين في ميدان التحرير في مصر وهو يقرأ من جهاز لوحي IPad. تصوير: أسماء وجيه - رويترز.

ومن أهم التحديات أو العوائق:

انتشار الأمية، والأُمية المعلوماتية، حيث تقدر بعض الدراسات نسبة الأمية في العالم العربي بنحو 40٪. ضعف البنية التحتية لشبكات الإنترنت، وضعف المستوى المادي لغالبية شعوبنا، وهذا يمنعها من الاستفادة والحضور في العالم الرقمي الذي يُنظرُ إليه في المستويات الاقتصادية الدنيا على أنه ترفٌ فكري.

غياب دَور الجامعات ومراكز البحث في رقمنة المخطوطات مثلاً والدراسات والبحوث التي تعدها هذه المؤسسات، وهذا أيضاً مرتبط بقضية الموارد وشُحِّها.

ضعف حركة النشر وغياب شبكات التوزيع.

انتشار ما يُعرف باللغة الفرانكو عربية (arabe-franco) أو ما يسميه إخوتنا المشارقة بالعربيزي، أي كتابة اللغة العربية بحروف أجنبية، وهو ما جنى على اللغة جناية عظيمة .

قضية التدقيق الآلي وشيوع الأخطاء، فمعظم محركات البحث عندها خوارزميات ثابتة تتعلق بشيوع الاستخدام، بغض النظر عن السلامة اللغوية، فكلما كان اللفظ مستخدماً أكثر تعاملت معه على أنه هو الصحيح.

غياب الموسوعات العربية الموثوقة والمصادر المفتوحة أو ما يُسمى "MOOCs"، وهو اختصار للعبارة الإنجليزية "Massive Open Online Course"، وهي مواقع متخصصة في كل فرع من العلوم، وفيها معلومات موثّقة. فغياب هذه الموسوعات يزيد الفجوة المعرفية ويُتيح المجال لانتشار المعلومات المغلوطة.

هذه التحديات أو العقبات أثّرت بشكل كبير على المحتوى الرقمي العربي الذي لا يتماشى ولا يُناسب قيمةَ وأهمية هذه اللغة الجميلة ولا إشعاعَها الثقافيَّ التاريخي كلغة أولى للعلوم والمعارف، حيث يُقدرُ حجم المحتوى العربيّ الرقميّ المنشور على صفحات شبكة الإنترنت وعلى مختلف الوسائط الإلكترونية، حسبَ تقديرات أكبر محركات البحث العالمية مثل غوغل وياهو، بأكثر قليلاً من 1٪ من مجمل المحتوى الرقمي العالمي، وكان قبل سنوات قليلة لا يتجاوز 0,3٪. وهذه النسبة طبعاً دون المستوى المقبول ولا ترقى إلى مكانة لغتنا العربية.

وتنمية المحتوى العربي الرقمي تتطلب حسب اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (إسكوا)، أدواتٍ معلوماتية أساسية تعتمدُ على حوسبة اللغة العربية وتحليلها بشكل عملي دقيق. وأهم هذه الأدوات محركات البحث والمعاجم. وما يوجد حالياً لا يلبي الاحتياجات، ولا يرقى إلى مستوى الأدوات المُماثلة في لغات أخرى، وخاصة الإنجليزية؛ فنحن بحاجة إلى بحوث في كيفية تصميم وصناعة المعاجم لتوليد المصطلحات وتوحيدها، إضافة إلى حوسبة اللغة العربية.

وتواجه لغتنا الكثير من المشكلات المعجمية رغم الجهود الكبيرة التي قامت وتقوم بها مجامع اللغة في عدة أقطار عربية. ومن هذه المشكلات أن أغلب معجمات اللغة العربية معجمات "تاريخية" أو مرتبطة بتاريخ معين، وغالباً تنتهي عند عصر الاستشهاد، وذلك لأن أصحاب هذه المعاجم وضعوها بهدف الحفاظ على لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وهو لا شك هدفٌ نبيل وفي غاية الأهمية، لكنه من ناحية أخرى قصَر اللغة على تلك العصور، وكأنّها ماتت هناك، ولن يتطور الإنسان وتُستجدّ له مسائلُ وأشياء تتطلب كلماتٍ وتعابيرَ جديدةً للتعبير عنها ولا مخترعات جديدة كالسيارة مثلاً.

فالدارس للغتنا لديه معاجمُ ضخمة جداً مثلا أكبر معجم - ربما- وهو "تاج العروس" الذي يقع في أربعين جزءاً، وكل جزء حوالي خمسمئة صفحة إن لم تخني الذاكرة.

لكن هذه المعاجم الضخمة لن تُفيده كثيراً في دراسته للعلوم الحديثة، ولا حتى في متابعة الإعلام، ولا في لغتنا المتحدَّثة في الشارع.

بالعودة إلى التحديات، تبرز مثلاً:
الفجوة الكبيرة بيننا وبين العالم المتقدم في العلوم

الحديثة، وعدم مسايرتنا لتطوراته وما يُصاحبها من مصطلحات وتعبيرات.

الثراء الكبير في المفردات، مما يجعل البحث صعباً خصوصاً على غير العرب من الدارسين والمهتمين، فمثلاً إذا كنتُ أبحثُ عن كلمة "عارضة" فعليَّ أن أقرأ حوالي خمسين صفحةً هي مادة "ع ر ض" في قاموس مثل "تاج العروس". وحتى بعد هذا الجهد الجهيد، فلن يُفيدني هذا في معناها الحديث: عارضة المرمى في كرة القدم! وقس على هذا..

اختلاف طبيعة اللغة العربية عن أغلب اللغات الأجنبية، من حيث كتابتها من اليمين إلى اليسار، ومن حيث اعتمادها على الجذر بدل التسلسل الأبجدي.

ومن قضايا وإشكاليات الرقمنة التي تواجه اللغة العربية وتعوق إثراء المحتوى الرقمي العربي على الإنترنت، إشكاليات الترجمة وتعريب المصطلحات ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وأذكرُ هنا أنني منذ أشهر قليلة كنت أترجم تقريراً إخبارياً وردت فيه كلمة Whataboutism، وهي تقنية الرد على الأسئلة الصعبة أو الاتهامات باتهامات مضادة أو بالتطرق لأسئلة مختلفة (تغيير الموضوع). مثلاً، حين أسأل عن شيء ويُجيبني أحد قائلاً: وماذا عن كذا؟ أو ماذا عن فلان الذي قال أو فعل كذا وكذا؟ فيغير بذلك الموضوع دون أن يُجيبَ على السؤال.

وبهذا المعنى تُمكن ترجمتها بالمراوغة أو التهرب من الأسئلة.. وهذا المصطلح في اللغة الأجنبية مكوَّنٌ من كلمتيْ "WHAT" وتعني "ماذا" و"ABOUT" وتعني "عن"، واللاحقة "ISM" التي تجعل الصفة اسماً، فكان عليَّ أن أجد لها -أو أنحتَ على الأصح- مقابلاً باللغة العربية، وهذا تقريرٌ سيصدر بعد دقائق، فلا أنا أملك الوقت لمطالعة المعجمات أو البحث على الإنترنت، وحتى لو توفر لي كل الوقت في العالم فهذا المصطلحُ جديدٌ حتى في اللغة الإنجليزية، إنما نحتوهُ قبلَ أسبوع!

وقد اقترحتُ الكلمات التالية -مع تبيين أنه مصطلح جديد- لكي نستغني عن ذكر هذه الكلمة الأجنبية في صدر النص: "المَدْعَنية" و"أسلوب ماذا عن؟" و"الماذاعنية".. وكلها طبعاً اجتهادات.

وفي مجال الترجمة أيضاً، لا بد من التأكيد على أهمية التنسيق بين مختلف المجامع اللغوية واتخاذ قرار بتوحيد ترجمات الكلمات الأجنبية. كما أنه من ناحية تقنية، على مترجمينا الابتعاد عن الحَرفية والارتباط باللغة المنقول عنها، فلننحت مصطلحاتِنا من لغتنا وخلفياتنا الثقافية والحضارية، ولا نكن مرآةً للغات الأخرى واستنساخاً لها.

كما أنني أتصور أن قضية توحيد المصطلحات والعمل على استصدار قوانين تجعل العمل بها مُلزماً، شيءٌ ضروريٌ في كل البلدان التي تتحدث العربية أو تتخذها لغةً رسمية. وهذه الخطوة -حسب رأيي- ستحل الكثير من المشكلات التي يعانيها ممارسو الكتابة سواءً في المجال الإعلامي أو غيره، فنجد الآن مصطلحاً يُترجم بكلمة في بلد وبأخرى في بلد ثان، بل حتى إننا نجد نفسَ المصطلح يُكتب بصيغة في المشرق وبصيغة أخرى في المغرب! مثل الجيم المصرية مثلاً التي تُكتب مرةً جيماً وتارةً غيناً وأخرى قافاً، وهكذا.

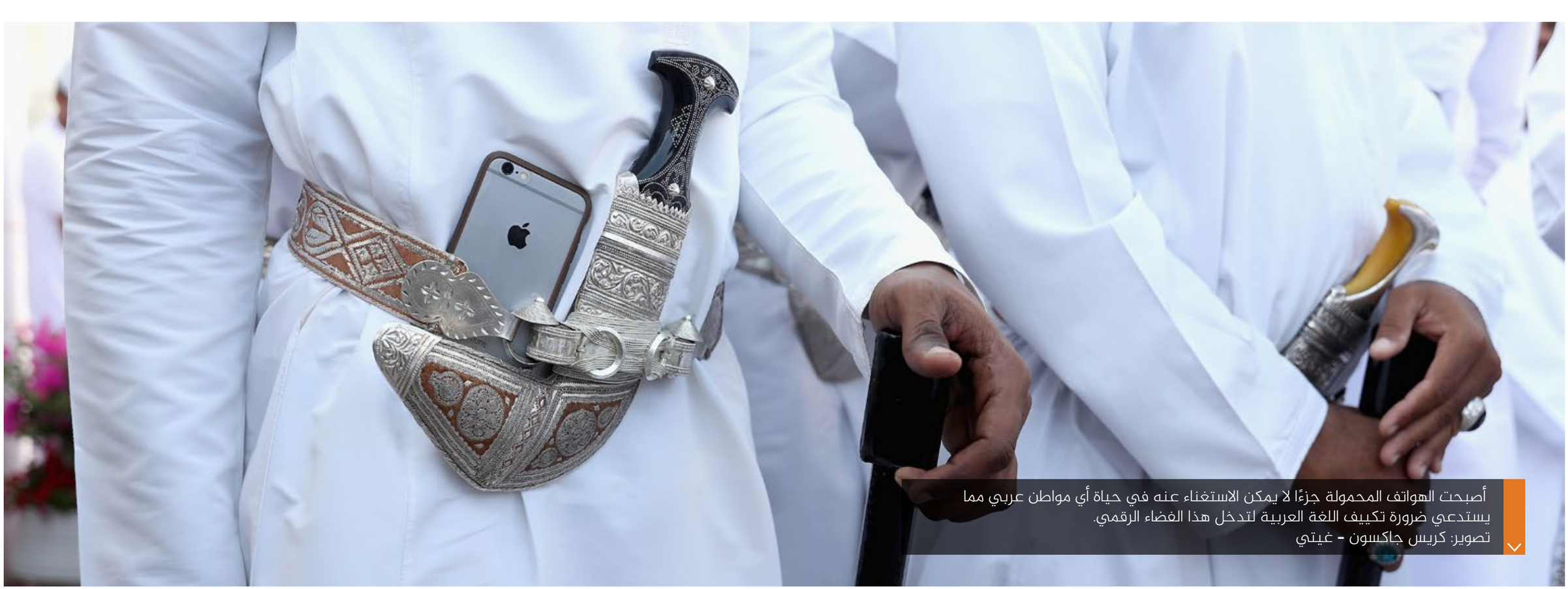

أصبحت الهواتف المحمولة جزءًا لا يمكن الاستغناء عنه في حياة أي مواطن عربي مما يستدعي ضرورة تكييف اللغة العربية لتدخل هذا الفضاء الرقمي.
تصوير: كريس جاكسون - غيتي

الصحافة اللبنانية.. لا ضوء آخر النفق؟

بتول خليل

يصعب اختزال أزمة الصحافة الورقية في لبنان بعامل واحد وردها إلى عوامل آنية واضحة المعالم، بل إن مشاكلها عميقة الجذور، تشابكت فيها الظروف والتقت مع مجموعة من الأسباب والحيثيات التي أوصلت هذه الصحافة إلى ما هي عليه اليوم.

لا تزال فصول انتكاسات الصحافة الورقية اللبنانية تتوالى تباعاً وبشكل متسارع. فالصحف التي ساهمت يوماً في تتويج بيروت عاصمة للصحافة والفكر والثقافة العربية وملاذاً للحريات، تخطو اليوم بثبات نحو الهاوية، عقب نزاع طويل آثرت في نهايته تجرّع كأس سمّ الإغلاق والصمت إلى الأبد. البداية كانت مع إقفال صحيفة "البيرق" عام 2011، بعد مضي قرابة 100 عام على صدورها، حيث كان المؤشر الأقوى الذي أطلق النفير معلناً انكشاف أزمة الصحافة الورقية وخروجها إلى العلن، لتليها بعد سنوات قليلة إقفال "السفير" و"البلد" و"الاتحاد"، وإيقاف صدور النسخة الورقية من "الحياة" بعد إقفال مكتبها في بيروت. وأخيراً وليس آخراً إقفال "دار الصياد" ذات التاريخ الطويل والعريق، التي كانت تصدر عنها عشرات المطبوعات، وعلى رأسها صحيفة "الأنوار". كان لتهاوي بعض الصحف مثل "السفير" أثر كالزلزال في وجدان الصحافة اللبنانية والرأي العام اللبناني والعربي، فالصحيفة التي تأسست عام 1974، اختزلت في طيات صفحاتها إرثاً ثقافياً وفكرياً كبيراً، جاء نتاجاً لمشاركتها التربّع على عرش الصحافة اللبنانية. ومنذ إطلاق عددها الأول، كانت شاهدة على كلّ المحطات المفصلية في مسيرة الحياة الثقافية والسياسية اللبنانية وتطورها، وضمّت صفحاتها -طوال سنوات صدورها- مجموعة واسعة من أبرز الأقلام الأدبية والفكرية العربية المعاصرة، إلى جانب تألّق صحفيين لمعت أسماؤهم في لبنان والعالم العربي، وهو ما جعل من إغلاق "السفير" دلالة على حجم تفاقم المعاناة التي أصابت الصحافة الورقية اللبنانية في صميمها.

مواكبة الرقمنة

يصعب اختزال أزمة الصحافة الورقية في لبنان بعامل واحد وردها إلى عوامل آنية واضحة المعالم، بل إن مشاكلها عميقة الجذور، تشابكت فيها الظروف والتقت مع مجموعة من الأسباب والحيثيات التي أوصلت هذه الصحافة إلى ما هي عليه اليوم. يشكو حال من بقي منها، من انعدام القدرة على المنافسة، والتكيّف مع العصر مضموناً وأسلوباً، الأمر الذي ألقى بظلاله على مستوى المواد والكتابة والتحرير.

بدءاً بموجة الاغتيالات التي انطلقت عام 2005، والتي طالت الصحفي والمفكر والكاتب في صحيفة "النهار" سمير قصير، متبوعاً برئيس مجلس إدارتها جبران تويني وريث جدّه المؤسس، مروراً بانحسار مدّ المال السياسي عن المنطقة ككل عقب اندلاع ثورات الربيع العربي، وصولاً إلى تراجع الإعلانات في الصحافة الورقية، واحتدام المنافسة الشرسة مع الصحافة الإلكترونية، ودور التكنولوجيا الحديثة في ثورة الاتصالات. كلّ هذه العوامل وغيرها كان لها أثر رئيسي في إضعاف الإقبال على الصحافة الورقية في لبنان، وزيادة الأعباء المالية المترتبة عليها، خصوصاً أن الاعتماد بشكل أساسي على المال السياسي الذي كان يتدفق دون حساب، بكل ما يحمله من تبعات على السياسة التحريرية، وفداحة تأثير توقفه على عدم إمكانية الاستمرار في البقاء، جعل الصحف اللبنانية تبدو كأنها تُركت لتلاقي مصيرها المجهول. كما أجّج انحسار المال الصراعات الإدارية الداخلية، تبعتها استقالات من هنا وحالات طردٍ من هناك، فضلاً عن هجرة معظم الكتّاب المرموقين من الصحف اللبنانية وتوجههم إلى العمل في وسائل إعلام عربية وأجنبية، مقابل مردود مالي أعلى.

عامل آخر يُضيء عليه الكاتب والناقد اللبناني عبيدو باشا، موضحاً لـ "مجلة الصحافة" أن السؤال الذي شكّل هاجساً لأصحاب بعض الصحف التي يديرها أفراد من العائلة الواحدة، مثل "السفير"، ارتبط بمعايير لها علاقة بالأجيال التي أبدت

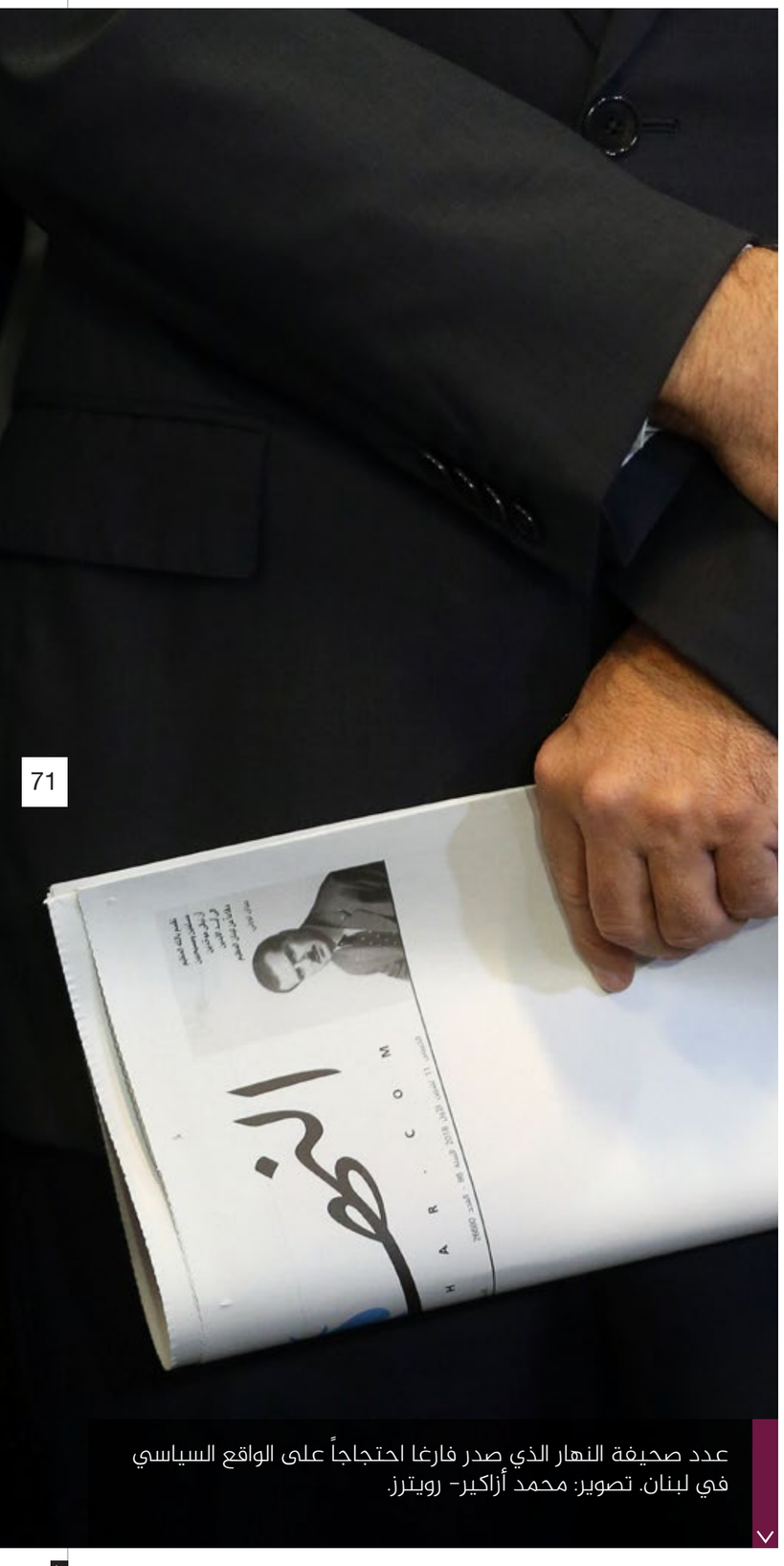

عدد صحيفة النهار الذي صدر فارغا احتجاجاً على الواقع السياسي في لبنان. تصوير: محمد أزاكير- رويترز.

عدم أهليتها في الحفاظ على تقاليد هذه الصحافة والمضي قدماً بميراثها، أيضاً مثلما حصل في جريدة "النهار" التي ورثت إدارتها نايلة تويني، والتي يعكس واقعها حقيقة أنها ما عادت تشبه ماضيها كما عهدناه.

صحافة رأي لا معلومة

يؤكد الكاتب حسن داوود الذي زاول مهنة الصحافة الورقية قرابة 35 عاماً، وتوزّعت تجربته الطويلة ما بين جريدة "السفير" و"المستقبل" والعديد غيرهما. ومن واقع خبرته واختباره الدقيق لحال الصحف اللبنانية، أنّه "ليس في لبنان اليوم جريدة حرّة مستقلة تعبّر عن فئات مشتركة من اللبنانيين وليس أطرافا منهم فقط. فالصحف -وإن كانت تضمّ فريق عمل من طوائف ومذاهب مختلفة- مقسمة كصحيفة تخاطب المسيحيين وأخرى المسلمين، وصحف تخاطب فئات أخرى كاليسار والشيوعيين وغيرهم. ولطالما كان واضحا أن الصحف اللبنانية تتعاطى مع مختلف الأحداث والقضايا السياسية وغيرها ليس تبعاً للحقيقة، ولكن انطلاقاً من وجهات نظر خاصة بها، مما وضعها في حالة دائمة من التناحر مع الآخر، بالنيابة عن الدول أو الممولين".

التمذهب السياسي في خطاب الصحف تجلّى في محطات وأحداث سياسية وأمنية مفصلية عايشها لبنان بعد العام 2005 الذي شهد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، وتبعه خروج الجيش السوري بعد وصاية دامت قرابة 30 عاماً. ولاحقاً توالت أحداث أجّجها الصراع السياسي الطائفي ومعه الإعلام المرئي والمكتوب، لا سيما خلال أحداث 7 مايو/أيار 2008 الشهيرة، حيث وصل التراشق الإعلامي والتحريض أقصى مداه، وهو ما وثّقته مؤسسة "مهارات" المعنية برصد أداء وسائل الإعلام في لبنان، ضمن دراسة تحليلية امتدت حينها على فترة عشرة أيام، تناولت صحفاً يومية، لا سيما في صفحاتها الأولى، وكذلك التغطية الإخبارية للمحطات التلفزيونية، وتوصّلت إلى أن "التغطية الإعلامية للأحداث انتهجت أسلوباً وخطاباً إقصائياً، بموازاة احتكار الحقيقة في كل وسيلة إعلامية".

خطاب الشحن والتحريض انسحب كذلك على التغطية الإعلامية للعديد من الأحداث في السنوات القليلة الماضية، لا سيما بعد اندلاع الثورة السورية والحرب في اليمن. وفي هذا الإطار يشير داوود إلى أنّ "القنوات التلفزيونية في لبنان توارثت هذا النهج والأسلوب من الصحف، وباتت هي الأخرى تؤجج الصراع والانقسامات، وذلك انطلاقاً من موقف دائم، سرمدي، وغير متبدّل ولا متحول، قوامه عدم توجيه أي نقد يطال جماعته أو حلفاءه، بينما يصب هجومه على الجهة الأخرى، حتى أضحت التغطيات الإخبارية، سواء في الصحف أو القنوات التلفزيونية، أشبه بنشرات حزبية لجماعات أو أطراف أو طوائف أو مذاهب". دعم حكومي؟

جَدية التساؤلات التي تطرح اليوم عما إذا كانت الصحافة الورقية في لبنان قادرة على كبح انزلاقها نحو التلاشي والاندثار، دفعت بوزارة الإعلام إلى محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الصحف المتبقية على الساحة. ففي أكتوبر/تشرين الأول 2018، أعلن وزير الإعلام اللبناني ملحم الرياشي أنّ الوزارة تعمل -إلى جانب مسؤولي الصحف ومختصين- من أجل دعم الإعلام المكتوب والتقليل من الأعباء المالية المترتبة عليه. لكن هذه المبادرة لا يعول عليها داوود، خصوصاً أنّ "الدولة اللبنانية التي تعمل حثيثاً على تعزيز الطائفية السياسية وضمان استمرارها، بدليل التمثيل السياسي في البرلمان تبعاً لعدد وحصص الطوائف، فإنها تسعى من خلال مبادرتها تلك لدعم الطوائف والمذاهب من خلال الصحف التي تمثلهم، بينما المطلوب من الحكومة اللبنانية دعم الصحافة الحرة، لا صحافة الأطراف والزعامات".

بدوره يعتبر الكاتب والناقد عبيدو باشا أنّ مبادرة وزارة الإعلام غير واقعية، متسائلاً "كيف يمكن لدولة مأزومة ومديونة أن تغطّي أجزاء من نفقات الصحافة المهولة؟"، و"كيف يمكن أساساً لدولة تعاني وسائل إعلامها الرسمية من أزمات خانقة، أن تنجح في إنقاذ الصحف غير المملوكة لها؟".

السجال حول مبادرة وزارة الإعلام يدفع نحو سؤال أعمق وأبعد؛ عن مدى فعالية استمرار الصحف الورقية وسط تردّي الجو الثقافي والفكري العام. والواقع يقود نحو حقيقة أخرى تشير إلى انفراط عقد القراء وافتكاكهم عن صحفهم التي تبدلت أحوالها وغاب عنها كتابهم المفضلون، الأمر الذي أكّد عليه لمجلة "الصحافة" أكثر منص شخص من المتابعين والقراء القدامى للصحف الورقية اللبنانية، حيث باتت غالبية المواد التي تنشرها الصحف اليوم تقوم على الاستهلاك الإخباري السريع، لا على التفكير المعمّق والتحليل وإثارة النقاش العام حول قضايا سياسية أو اقتصادية أو ثقافية ضمن حدود واسعة جداً، كما كانت عليه الحال سابقاً.

تعاني الصحف اللبنانية من أزمة استقلالية بسبب الضغوط التي تمارس عليها من الجهات الرسمية والتيارات السياسية. تصوير: علي حشيشو - رويترز.

«المواطن كين».. تاريخ الصحافة على الشاشة الكبيرة

شفيق طبارة

أورسن ويلز بطل ومخرج فيلم المواطن كين - غيتي.

فيلم "المواطن كين" للمخرج الأميركي أورسن ويلز، هو أول ما يتبادر إلى الأذهان عند الكلام عن مهنة المتاعب في السينما. الفيلم الذي يبلغ من العمر 77 عاماً، ثابتٌ لا يغيب ضمن قوائم النقاد والسينمائيين لأفضل الأفلام، حيث تصدّر لفترة من الزمن قائمة الأفلام الروائية، وما زال محل إجماع نادرٍ قلّ نظيره من قبل النقاد والمؤرخين ومجلات السينما وصنّاعها. تظهر في الفيلم الذي اعتبر قفزة هائلة على سلم التطور الفني والتقني السينمائي، إشكاليات كبيرة من قلب السلطة الرابعة آنذاك؛ عن الناشر المتحكّم ونفوذه المترامي، عن الصحافة وعلاقتها الملتبسة بالسلطة والمال، عن الإعلام الأميركي وأزمته "بالاصفرار"، عن استغلال العمل الصحفي لمآرب شخصية وسلطوية، عن التلاعب بالخبر وتضخيم المعلومة، وصولاً إلى الفبركة وصناعة الأحداث.

من سيرة حياة رجل الأعمال والسياسي والناشر ومالك أكبر سلسلة صحفية في القرن العشرين "وليام راندولف هيرست"، استقى ويلز أحداث فيلمه. الرجل الثري بدأ من إدارة صحيفة "سان فرانسيسكو إكزامينر"، لتمتد إمبراطوريته الصحفية إلى 30 صحيفة في مراكز المدن الأميركية الكبرى وعدد من المجلات، مؤسِّساً لأكبر المؤسسات الربحية في مجال الصحف والمجلات في مختلف أنحاء العالم، وواضعاً الحجر الأساس للصحافة الصفراء.

في الفيلم، يُدعى تشارلز فوستر كين الذي أدّى دوره المخرج أورسن ويلز.. رجل لديه كل مقومات القوة: المال، الشهرة، السلطة والإعلام. من موت تشارلز في قصره الهائل "إكزانادو" وسط جنائن شاسعة، حيث أمضى سنواته الأخيرة وحيداً في قصره محاطاً بأعمال فنية وجدران مليئة بالمعلّقات، يبدأ الفيلم.

كين -دون أي من أفراد أسرته أو أصدقائه- على بعد لحظات من ملاقاة الموت، ينطق مع آخر أنفاسه كلمة "برعم". ومن هنا يبدأ الفيلم في "فلاش باك" لحياة كين التي شكّلت لغزاً لكثيرين، وموته الذي أثار التساؤلات، فيقرر الصحفي جيري طومسون (وليام ألاند) البحث والاستقصاء لكشف سر كلمته الأخيرة.

الصحافة في الفيلم حاضرة بمهمتين: الناشر كين الذي يتحكّم بالصحيفة ويفرض عليها أجندته ليصل إلى السلطة، ثمّ الصحفي الاستقصائي الذي يبحث في حياة هذا الناشر الفاسد فيقابل زوجته وأصدقاءه ومعلّمه سعياً لفهم معنى كلمته الأخيرة قبل وفاته.

يظهر كين في بداياته، واضعاً الخطط والجداول، ماذا سينشر؟ وماذا سيقول؟ في المقام الأول أراد خدمة الناس، أراد مصلحة العمال وتقديم ما يهم المتلقّي. ومع مرور الوقت بدأ مساره المهني بالانحراف.

يظهر كين في بداياته، واضعاً الخطط والجداول، ماذا سينشر؟ وماذا سيقول؟ في المقام الأول أراد خدمة الناس، أراد مصلحة العمّال وتقديم ما يهمّ المتلقّي. هذه كانت البدايات، ثمّ مع مرور الوقت بدأ مساره المهني بالانحراف. الخطوة الأولى كانت باستخدامه إحدى صحفه للترويج لشريكته المغنية، فأغرقتها صحفه بالمديح الزائف. ثم بدأ كين يغرق تدريجياً.. ينشر أخباراً زائفة ليضرب أحدهم اقتصادياً، يبالغ في مأساة شعب حتّى تُشَنَّ حرب، ينشر أكاذيب لتشويه صورة منافسيه، والهدف استمراره في بيع صحيفته. لقد سخّر الرجل أذرعه الإعلامية خدمة لمصالحه الخاصة، وبنى إمبراطوريته الإعلامية وأسهمه كرجل أعمال وحظوظه السياسية على الصحافة الصفراء، واخترق الخصوصيات وتلاعب وكذب وشهّر وفبرك. الربط بين "المواطن كين" ووليام هيرست كان سهلاً. امتلك الاثنان إمبراطورية إعلامية لم تصمد خلال الكساد الكبير.. بنيا قصراً ضخماً.. استخدما أساليب الصحف الصفراء لجرّ الولايات المتحدة إلى الحرب مع إسبانيا عام 1898. استغلّ كلاهما الإعلام الذي يقع تحت سطوتهما للوصول إلى منصب سياسي، بينما واجهت حملاتهما الانتخابية اتهامات بالفساد.

هيرست لم يتقبّل الفيلم برحابة صدر، بل أكّد أنه "المواطن كين" حين شنَّ حرباً على مخرج الفيلم أورسن ويلز. استخدم الرجل الثري نفوذه وموارده الهائلة للحيلولة دون إطلاق الفيلم. ومع فشل مساعيه، منع أية إعلانات أو مراجعات للفيلم في صحفه الكثيرة. ولم يكتفِ بذلك، حتى طلب من الصحفيين لديه التشهير بويلز ابن الخامسة والعشرين الذي مثّل دوره وأخرج الفيلم وشارك في كتابته. في النهاية نجح هيرست ومعارفه في هوليود في تقييد الفيلم، فتمّ الحد من عرضه في الصالات، وانخفضت العائدات في شباك التذاكر. أمّا على المدى الطويل، فقد تضررت مهنة ويلز كمخرج في هوليود حتى نهاية حياته. وُثّق هذا الصراع في الفيلم الوثائقي "معركة المواطن كين" عام 1996.

أتقن أورسن ويلز عمله، وأخرج فيلماً كاملاً. قدَّم قصة ضخمة واستثمر كلّ التقنيات وابتكر أخرى جديدة، من تصوير مشاهد بالزوايا الواسعة والمشهديات العميقة، إلى لعبة الظل والضوء المستمدة

يعد وليام راندولف هيرست أحد أباطرة الصحافة في الولايات المتحدة الأميركية في منتصف القرن الماضي. في الصورة وليام هيرست (يسار) رفقة صحفيين آخرين لدى وصولهم إلى مطار لندن عائدين من الاتحاد السوفيتي حيث أجروا مقابلات مع قادة سوفيت عام 1955 – غيتي.

من التعبيرية الألمانية، والقدرة على تحريك الكاميرا والتعامل معها بسلاسة، إلى المونتاج والاستخدام المبتكر للصوت كأساس سردي.

مستويان سرديان بارزان في الفيلم: الصراع مع الذات مع حبّ السلطة والطموح اللامحدود، بغية تقديم الحقيقة والتحلّي بالموضوعية والمسؤولية، ثمّ في الدرجة الثانية الانزلاق في دوامة الفضائح والتلفيق والتحوّل المطلق إلى الصحافة الصفراء.. هي مرحلة فساد الصحافة وتحوّل "المواطن كين" إلى وحشٍ لا يرى إلا مصلحته الخاصة. مستويان يصبوان إلى تبيان القوة الجبارة للصحافة، تأثيرها في المجتمع، وكيف تتحوّل إلى أداة خاصة وتُطوّع لأغراض دعائية وفقاً للمصلحة الشخصية.

لا شك أنّ الفيلم نقدُ شرس لحال الصحف الأميركية التي نزعت إلى إشاعة الفضائح عبر المبالغة والانحياز واللعب على حبال تهييج مشاعر المتلقين، فهو فيلم جريء لأنه مسَّ بأخطبوط تغلغلت أذرعه في المجتمع الأميركي الذي تجرَّد من أي مناعة أمام أخبار صحفه. كما أضاء على أفكارٍ لم تألفها العامة، عن تأثير وسائل الإعلام البصرية والسمعية على تفكير المجتمع، على أهمية مراجعة المصادر وعدم تصديق كلّ ما يُقدَّم تحت عنوان "الأخبار"، على التلاعب الجاري بالمتلقين طمعاً في الربح والسلطة، فشكّل الفيلم عملاً صحافياً بحدّ ذاته.

نظرياً، تزامن الفيلم الذي خرج في الصالات عام 1941 مع نقد متواتر لنظرية الحرية في الإعلام بسبب إخضاعها الصحف لشروط السوق التي قيل إنها تجرده من محتواه، وبذلك حولت المؤسسات الإعلامية

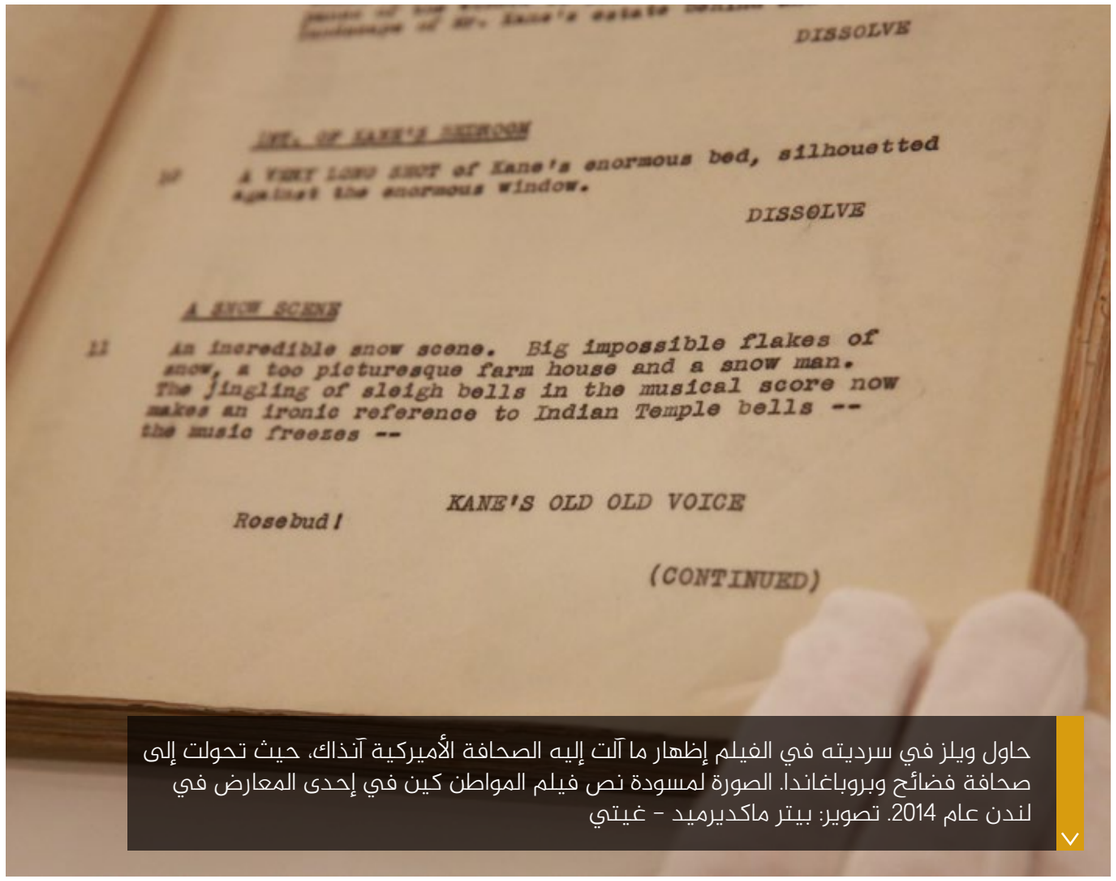
DISSOLVE

INT. OF KANE'S BEDROOM

10 A VERY LONG SHOT of Kane's enormous bed, silhouetted against the enormous window.

DISSOLVE

A SNOW SCENE

11 An incredible snow scene. Big impossible flakes of snow, a too picturesque farm house and a snow man. The jingling of sleigh bells in the musical score now makes an ironic reference to Indian Temple bells -- the music freezes --

KANE'S OLD OLD VOICE

Rosebud!

(CONTINUED)

حاول ويلز في سرديته في الفيلم إظهار ما آلت إليه الصحافة الأميركية آنذاك، حيث تحولت إلى صحافة فضائح وبروباغاندا. الصورة لمسودة نص فيلم المواطن كين في إحدى المعارض في لندن عام 2014. تصوير: بيتر ماكديرميد – غيتي

إلى مؤسسات رأسمالية ضخمة متسلّطة. وفي المقابل بزوغ نظرية المسؤولية الاجتماعية التي تخضع الحرية لرقابة الرأي العام ولمعايير مثل الدقة والصدق والموضوعية والتوازن. من خلال رؤية شاملة لمحتوى الفيلم، نلمس فعلياً نقد أورسن ويلز لمفاعيل نظرية الحرية وانحيازه إلى نظرية المسؤولية الاجتماعية في ذلك الحين. "المواطن كين" غرّته الحرية المطلقة، لم تقيّده المبادئ، استخدم الإثارة الرخيصة، وتلاعب بالمعلومات، وكانت صحفه دليلاً فاقعاً على سطوة رأس المال على الجهد الصحفي وعلى استخدام الصحف كوسيلة دعائية إعلانية دون قيود في الحملات الانتخابية.

مجلّدات كُتبت وستكتب عن جوهرة السينما الحديثة الخالدة "المواطن كين".. سردُ حيٌّ ثوري حفّزه المخرج الأميركي بفلاش باك وبعملٍ صحفي ديناميكي. رسم أورسن ويلز بورتريها فجّا لشخصية مشوّهة، إنه تاريخ الصحافة على الشاشة الكبيرة، إنها الكاميرا التي تفضح وتطيح بالموضوعية الموهومة وبالمعلومة الدقيقة، وحتى بالحقيقة. يوم خرجت الصحافة من تحت عباءة السلطة لتلوذ إلى الحرية فوقعت تحت سطوة المال وحب السلطة فأصبحت صفراء.

أتمّ ويلز فيلمه ولم يغفل العاطفة والإنسان. ما هو "البرعم"؟ الحب؟ حنان الأم؟ دفء المنزل؟ بقايا الطفولة؟ سرير الوالدين الدافئ في ليلة عاصفة؟ عناق عندما يبدو العالم منهاراً؟ إنها قصة إنسان هذه الأزمنة، ابن الرأسمالية الذي يملك كلّ شيء ولكنّه يجنح بطموحه وجشعه نحو الهاوية.

الحكمة تصل متأخرة لتغطية النزاع الكولومبي

فيكتور دي كوريا لوغو

أكثر خطر يواجه الصحفيين هو بقاؤهم محاصرين بصورة واحدة لمنظمة ما، دون ملاحظة التغيرات الطفيفة واليومية التي قد لا نلتفت إليها أحياناً. كانت أولى المهام، هي مقاومة الأحكام المسبقة: الحرب ضد الإرهاب مثلاً، تجعلنا نفكر أن المنظمات المسلحة «إرهابية».

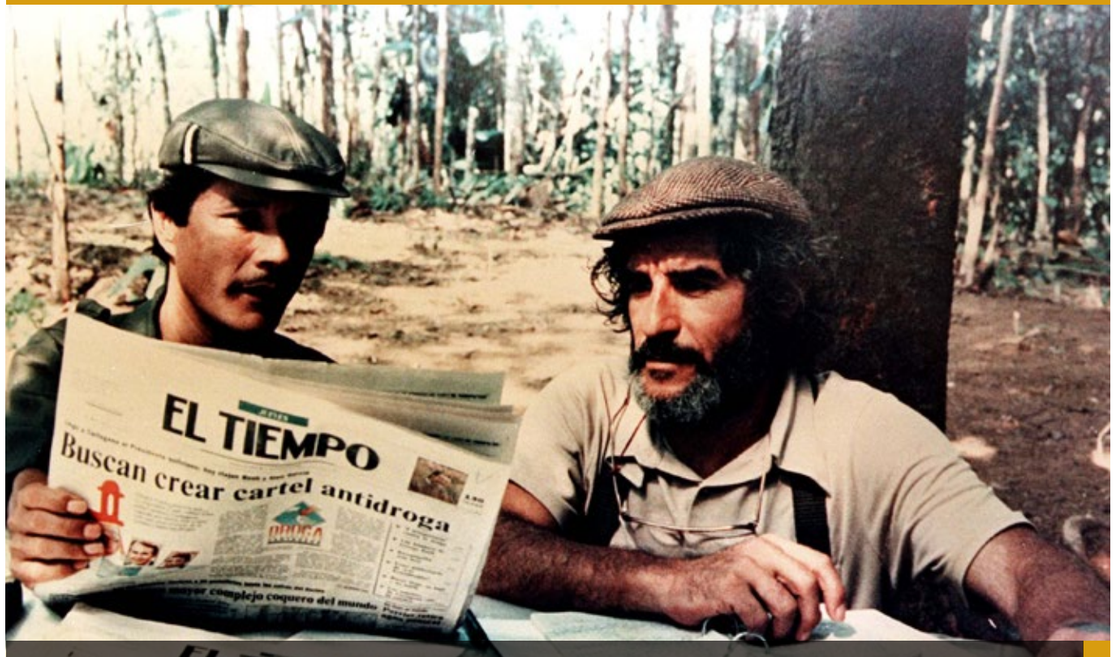

كانت تغطية الصحفيين للصراع بين جيش التحرير والحكومة الكولومبية تقتصر على رواية الحكومة الكولومبية عن الأحداث دون فتح المجال أمام الطرف الآخر لتبيان موقفه. الصورة لقيادات في جيش التحرير الوطني، مانويل بيريز (يمين) ونيكولاس رودريغيز، يقرؤون صحيفة El Tiempo الرسمية عام 1998 – رويترز.

أن تغطّي الصحافة أي صراع مسلّح، يعني أن ينتقل الصحفيّون بين أخبار غير مؤكدة وأخرى زائفة، بين روايات رسمية متحيّزة وأحكام اجتماعية مسبقة، وأن تصطدم بعقبات كثيرة بهدف الوصول إلى المصادر.

في الحالة الكولومبية، استمر الصراع المسلح بين جيش التحرير الوطني المعروف اختصاراً باسم "إي.أل.أن" (ELN) والحكومة الكولومبية. ربما يكون هذا الجيش أقدم مجموعة مسلحة ما زالت تسيطر عليها العائلات نفسها منذ سنوات عديدة.

منذ خمس سنوات، كان لقائي الصحفي الأول بتلك المجموعة. في ذلك الوقت، كانت عملية السلام في مراحلها الأولى. نظرة المجتمع للجيش كانت محاطة بالأساطير، فقد كانت الحكومة قد نجحت في تحجيمه حتى أصبح هامشياً. وفي الوقت نفسه، كان هناك حوار مع القوى المسلحة الثورية الكولومبية (فارك)، وكان محاربوها قد سُرِّحوا منذ عامين.

بعد خمس سنوات أستطيع القول إنني أتمتّع بفهم أفضل لجيش "إي.أل.أن" ومقترحه للسلام، لكن عليّ الإشارة إلى أن الجيش تغيّر أيضا. فالمنظمات تغيّر نهجها نتيجة للهزائم العسكرية والتغيرات السياسية وعمليات المفاوضات، وهو ما ينطبق على الصحفيين، إذ يغيرون نهجهم بناء على تجاربهم.

إن أكثر خطر يواجه الصحفيين هو بقاؤهم محاصرين بصورة واحدة لمنظمة ما، دون ملاحظة التغيرات الطفيفة واليومية التي قد لا نلتفت إليها أحيانا. كانت أولى المهام هي مقاومة الأحكام المسبقة: الحرب ضد الإرهاب مثلا، تجعلنا نفكر أن المنظمات المسلحة "إرهابية"، وبعض الأكاديميين يقللون من تعقيدات الحروب ويختزلونها في أسباب دينية وثقافية أو يحيلونها إلى جشع الإنسان.

لا يمكن الاقتراب من العناصر المسلحة بشكل سريع أو مختصر، ولا يمكن أن يعتمد الصحفي في عمله على الرواية التي يوفرها أعداء تلك العناصر.. يتطلب الأمر مجهودا كبيرا يبدأ من لقائهم وإجراء الحوارات معهم في الجبال.. التأمل كثيرا، ثم قراءة وثائقهم الرسمية العامة لاكتشاف منطقهم الداخلي.

تجدر الإشارة إلى أنه حين بدأتُ بحثا معمقا عن هذه المنظمة، كان معظم الصحفيين والأكاديميين مشاركين في المفاوضات (الجارية حتى اليوم) بين الحكومة ومنظمة الفارك. وقد اقترح كثيرون أن على جيش "إي.أل.أن" أن يسلك نفس الطريق الذي سلكته الفارك. في عام 2018، وفي العاصمة الكوبية هافانا، ذكّرني زعيم جيش التحرير الوطني بابلو بيلتران: "منذ أربع سنوات كان الجميع يقولون لنا: افعلوا ما فعلته الفارك.. اليوم يقولون لنا: لا تكرروا أخطاء الفارك.. تعلموا من هذه العملية".

التعامل مع العناصر المسلحة في كولومبيا كان عملية ذات اتجاهين، فمن ناحية، كان لا بدّ لي من تغذية الثقة بيني وبينهم، وفي الوقت نفسه، المحافظة على الروح النقدية. ما يزيد من حجم التوتر في طرق الرواية الصحفية، أن الرواية الرسمية الكولومبية تزودنا بأخبار تطلّب الأمر منا سنوات للتأكد منها.. أخبار عن حرب عصابات ارتكبت خلالها جرائم عدة في بلد مثل كولومبيا تغيب عنه العدالة والإنصاف. الثقة التي بنيتها مع أفراد وقادة تلك جيش التحرير سمحت لي بإجراء العديد من اللقاءات الحصرية مع محاربيه المتهمين دوما من قبل الحكومة. إلّا أن ذلك ولّد مشاكل كثيرة، ففي كولومبيا تحتمل التقارير النقدية كثيرا من التفسيرات الخاطئة.

كما ذكرت سابقا، هناك الكثير من الأحكام المسبقة عن جيش "إي.أل.أن"، مثل أنه منظمة مشتتة تفتقر إلى القيادة، وأنه مجموعة من مهربي المخدرات في الأساس، وأن لديه عشرات المختطفين، ويسيطر على كل الحدود بين كولومبيا وفنزويلا.. إلخ.

كان التحدي إذا في هدم الأساطير، والتواصل المستمر مع الناطق الرسمي للجيش. كان ذلك أمرا معقدا، على اعتبار أن جيش "إي.أل.أن" مجموعة محاربة، وقد بقي دون صوت لسنوات طويلة منذ تأسيسه، ولم يطوّر إستراتيجية إعلامية إلا في السنوات الأخيرة. وقد

أثمر لقائي معهم في الجبال عن عقد مؤتمرات أكاديمية في المدن الكولومبية، والاشتراك في برامج تقدم تحليلات سياسية جديدة، لأن الدفاع عن مهنة الصحافة يتضمن أيضا الوقوف في وجه الأحكام المسبقة حول النزاع الكولومبي.

واحدة من المقابلات الجريئة أجريتها مع أنطونيو غارسيا قائد "إي.أل.أن"، وتم اللقاء في منطقة ريفية بكولومبيا. كان غارسيا قد قضى سنوات دون أن يجري أي مقابلة تلفزيونية، واتفق معي على ألا تحتوي المقابلة على أية مواضيع محظورة. تمت المقابلة بشكل ممتاز وباحترام متبادل، وعززت من أعمال سابقة لي كنت قد أنجزتها عن حزب الله والمجموعات الفلسطينية والجيش السوري الحر ومحاربي الغلبين.

وحين فُتحت طاولة الحوار -بطريقة عامة ورسمية- بين الحكومة وجيش "إي.أل.أن"، فقدت المقابلات الحصرية امتيازها، إذ أصبح الوصول إلى وفد جيش التحرير سهلا جدا.. يكفي أن تستقل الطائرة من كولومبيا إلى الإكوادور، وفي أقل من ساعة ستكون في مقر الجيش لطرح جميع الأسئلة المتعلقة بالقضية. كان التحدي مختلفا، وهو التركيز على تحليل ما هو أبعد من الأخبار الآنية، وعقد اجتماعات سرية مع كلا الطرفين، وطرح السؤال الحاسم عند الضرورة. متابعة الصراع الكولومبي أثمرت عن صدور أكثر من كتاب لأهداف أكاديمية. بيد أن تلك الحالة ما هي إلا انعكاس اهتمام مصطنع من قبل الصحفيين والأكاديميين، إذ كانت حالة معتمدة على الحكم المسبق والتحيز وتذهب في اتجاه مفاده أن الأكاديمي يقول حقائق مطلقة، بينما يصف الصحفي أحداثا معزولة. في رأيي -وهو رأي أكاديمي قبل كل شيء، ومع تقديري للجامعات- فإن الأكاديمي الجيد هو الذي يجري عمله في الميدان ويقترب من أبحاثه من عمل الصحفي.

هذا العام، وبمناسبة تحرير جيش "إي.أل.أن" ستة سجناء اعتقلهم في منطقة ريفية، واتهمهم بأنهم كانوا ينفذون مهمات تجسسية، كانت لديّ فرصة لتغطية كل عملية التحرير. إن أكثر الأمور إيجابية في تلك العملية هو النقاشات وجها لوجه في غابات كولومبيا مع القادة المحاربين وسط العمليات العسكرية. أما أكثر الأمور سلبية، فهي التحذيرات الحكومية التي عملت جاهدة على إظهار تلك المجموعات للصحفيين المرافقين لمفاوضات السلام؛ على أنها "إرهابية".

عملية السلام غيرت الجانبين، وزادت من تواصل تلك المجموعة مع الصحافة.

لم يعد مهما إذا الوصول إليهم في الجبال للاطلاع على أحوالهم أو إجراء حوارات معهم، بل بات المهم في هذه المرحلة، القدرة على مناقشة أشياء جوهرية معهم، إضافة إلى آراء الناطقين الرسميين الحكوميين لمفاوضات السلام، ومرافقي المجتمع الدولي.

كان الروائي والصحفي الكولومبي الحائز على نوبل للآداب غابرييل غارسيا ماركيز، يقول إن الحكمة تصلنا حينما تصبح بلا فائدة. مضت خمس سنوات منذ أن بدأت هذه المرحلة الجديدة من تغطية المفاوضات بين الحكومة وجيش التحرير الوطني "إي.أل.أن".. هناك الكثير من الملاحظات والمقابلات والتقارير، وتحليل عن هذه الحرب. أيضا هناك الكثير من الموتى. واليوم اتضحت أمور أكثر عن دور العمل الصحفي في تغطيات الحروب وبناء السلام. مع هذا، فالأخطاء التي حدثت لا يمكن تصحيحها.

لا يهم إن كان ماركيز على حق.. دعونا نطبق ما قاله أنطونيو غرامشي على العمل الصحفي: "نحن متشائمون في ما يتعلق بالذكاء، متفائلون فيما يتعلق بالإرادة".

قرار الصحفي الكولومبي الذهاب للجبال ودخول معاقل جيش التحرير كان دائما مرهونا بمخاطرة عالية. في الصورة اعتصام لمصورين كولومبيين أمام مجلس النواب عام 9991 احتجاجا على اعتقال قوات جيش التحرير الوطني للمصور هنري روميرو بعد أن نشر صورا كشفت هوية قادة في جيش التحرير - رويترز.

أعداد مجلة الصحافة